مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: المديح الديني في شعر أبي الربيع الكلاعي الأندلسي بين التقليد والتجديد: الرائية أنموذجاً
اسم الكاتب: روان وليد سكر
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/9365
تاريخ الاسترداد: 2026/04/10 20:36 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد 21، العدد 2
ذو الحجة 1445هـ / يونيو 2024م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

يونيو 2024م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 21 العدد 2
https//:doi.org/10.36394/jhss/21/2/19

المديح الدِّيني في شعر أبي الربيع الكلاعي الأندلسي بين التقليد والتجديد: الرائية أنموذجاً

روان وليد سكر[1]

تاريخ الاستلام: 31-12-2022 **تاريخ القبول: 16-04-2023**

ملخص البحث:

اشتهر أبو الربيع الكلاعي حافظاً ومحدثاً وبليغاً ومؤلفاً أديباً ودينياً وتاريخياً، وتدارس الباحثون نتاجه الفكري، بيد أنهم لم يخصوا شعره بما يستحقه من العناية. يسعى هذا البحث إلى تحليل ما انماز به شعر الكلاعي عن نهج السابقين في المديح الديني الذي غلب على أغراضه الشعرية، وذلك من خلال الوقوف على عناصر المحاكاة والأصالة في قصيدته الرائية بوصفها وثيقة سياسية واجتماعية ودينية. ويتخذ البحث من الإطار النظري وسيلة للتعريف بالشاعر وأهم المفاهيم والدراسات السابقة. ويقف في محوره الإجرائي على موضوعات المديح الديني مستعيناً بأدوات الوصف والتحليل؛ حيث ينطلق من رصد مظاهر التقليد والتجديد في المديح النبوي، ويتخلص منه إلى تجلية ما كان من ذلك في مدح الصحابة وآل البيت والأنصار وأمهات المؤمنين. وقد أتت أهمية البحث من كونه يسلط الضوء على أحد النماذج المغمورة في الشعر الأندلسي، فخلص إلى أن مدحة الكلاعية الدينية ممثلة بالرائية شكلت أنموذجاً فريداً من نماذج التجديد على مستوى الشكل والمضمون؛ إذ أخذ الشاعر بحظه من الابتكار في المستويين الفني والموضوعي متأثراً بثقافته الدينية.

الكلمات الدالة: مديح ديني، أبو الربيع، تقليد، تجديد، رائية.

(1) كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق (دمشق – سوريا)
Rawansukkar@googlemail.com

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 507 05/06/2024 11:42 AM

المقدمة

المديح لونٌ من ألوان التعبير الأدبي وأحد الأغراض الأكثر دوراناً في الأدب العربي. فتعداد مناقب الممدوح تكسباً أو إعجاباً بخصاله الحميدة أو شكراً على معروف أسداه كثير الشيوع في الشعر قديمه وحديثه. ولهذا الغرض الغنائي خصائصه ومميزاته، يصرف الباث إليه اهتمامه مفيداً من ضروب القول. والممادحة تكون في حياة الممدوح، والثناء في أعقاب الوفاة رثاء، لكنه في الرسول الكريم وآله وصحابته مدح، إذ يراد من ذكر فضائلهم التقرب إلى الله بدلاً من إظهار الحزن والتفجع (مبارك، د.ت، 17).

والمديح الديني من حيث النشأة والتطور لون أدبي عميق الأصالة؛ إذ أفاد من مستحدثات العصور الأدبية من دون التخلي عن طابعه الخاص. وقد بدأ مع مدحيات حسان بن ثابت وكعب بن زهير إبان ظهور الدعوة الإسلامية مروراً بمدحيات الفرزدق. ثم استحقت المدحيات التأسيس لمضامينها في القرن السابع الهجري بظهور مدحيات البوصيري التي عارضها حشد كبير من الشعراء. ويعود ازدهار المديح الديني في العصر الأندلسي إلى ما آل إليه حال المسلمين من سقوط بلدانهم، فكان الملاذ بالرجوع إلى الله والتضرع إليه بالدعاء. وفضلاً عن إيمان الشعراء وإخلاص حبهم لله ورسوله وصحابته والتابعين، فقد كان من بواعث اتساع هذا الغرض الشعري ظهور الوعاظ والمتزهدين مع انتشار الأوبئة والجوائح، فكان في نيل الشفاعة عبر إظهار مكارم النبوة محاولة للخلاص (عبد الرؤوف، 2020، بتصرف).

والمدح في التعريف اللغوي: نقيض الهجاء والذَّمّ، وهو حُسن الثَّناء. والمدح: مصدر، والمِدحة: اسم، والجمع: مِدَح . وتمدح الرجل: افتخر، وجاء بما ليس عنده (ابن منظور، مدح، 1967، 14/ 36). والمديح في اصطلاح النقاد غرض شعري يقوم على التنويه بمناقب الممدوح (عمراني، 2022، 268). وهو: الثَّناء باللِّسان على الصِّفات الجميلة خُلُقِيَّةً كانت أو اختيارِيَّةً، وهو أعمُّ من الحمد (الجرجاني، 1985، 319). أمّا المديح الدِّينيُّ فيتجلّى بمدح الأنبياء صلوات الله عليهم، ومدح آلهم وزوجاتهم وصحابتهم. وهو في اصطلاح زكي مبارك: "فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، ولون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص" (مبارك، 1935، 17)

ويلاحظ المتتبع لشعر أبي الربيع غلبة المديح الديني على أغراض شعره، وتشكل الرائية أنموذجاً فريداً له؛ إذ أوقفها الشاعر لهذا الغرض، فحقق لمدحته الدينية استقلاليتها الموضوعية التي لم تتبلور حتى القرن السابع الهجري. ولأن شعر أبي الربيع ما يزال في عداد المغمور الذي لم تفحصه أدوات البحث فقد جاءت الدراسة للوقوف على مظاهر

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 508 05/06/2024 11:42 AM

التقليد والتجديد في موضوعات المديح الديني في قصيدته الرائية. وتنهض هذه الدراسة التي تقارب المنهج الوصفي التحليلي على التفصيل في هذه الموضوعات، وهي: المديح النبوي ومدح الصحابة، ومدح آل النبي والأنصار، ومدح أمهات المؤمنين. وتضمن المهاد النظري إشارة إلى الدراسات السابقة المتصلة بالموضوع وتعريفاً بالشاعر. وخلص البحث إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج.

الدراسات السابقة

تتصل بهذا البحث دراسات عدة يشكل كل منها إضافة في مضمونه. ففي بحثه: "الشعر الأندلسي بين التقليد والتجديد" سعى (العبادلة، 1995) إلى بيان ملامح الطرافة والخروج على معاني السابقين في فنون الشعر الأندلسي. فأشار إلى الحداثة التي طالت شعر القرن السادس الهجري وما بعده، وخلص إلى أن المتأخرين طبعوا أشعارهم بطابعهم المميز "فضعفت عندهم روح التقليد، وتجلت روح الأصالة" (العبادلة، 1995، 24). و رغم رصد الباحث التجديد الذي ظهر في شعر الوصف وفن الموشحات إلا أنه ترك النظر في الشعر الديني عموماً والمدح النبوية خصوصاً.

ويندرج كتاب (نجا، 2003) والمعنون: "قصيدة المديح الأندلسية قضاياها الموضوعية والفنية، عصر الطوائف" ضمن إطار النقد التطبيقي. وقد تضمن معالجات فنية لظواهر المدحة الأندلسية من خلال استجلاء خصوصياتها الجمالية والنفسية والاجتماعية. وخلص إلى أن المدحة الأندلسية باتت مظهراً للاندماج بين الذات والمجتمع، لا مجرد أداة للتكسب فحسب. وعلى الرغم من احتوائه نماذج منتخبة من مدائح نحو ثلاثين شاعراً إلا أن المؤلف قصر رؤاه الفنية على شعراء المدح عموماً في عصر ملوك الطوائف، تاركاً الخوض في نماذج المدح الديني خصوصاً

وفي عام 2009 قدمت فيروز الموسى كتابها "قصيدة المديح الأندلسية دراسة تحليلية" ليكون سعياً إلى الوقوف على غرض المديح في شعر الأندلس من الفتح حتى السقوط. وقد عملت على دراسة قصائدها بوصفها بناء يكون كلاً متكاملاً، فتناولت مقدمات تلك القصائد بالبحث والتحليل. ويذكر للباحثة عروجها على المديح النبوي، بيد أنها قصرت معالجتها على مقدمات القصائد من دون إشارة إلى أغراضها لبيان ما تضمنته القصيدة ككل من تقليد أو تجديد. يتصل اتصالاً وثيقاً بكتاب الباحثة مقالها المعنون "المقدمة الغزلية للمدحة النبوية الأندلسية" (الموسى، 2000)، وعلى الرغم من رصدها الموفق لما امتاز به التقديم الغزلي للمدائح النبوية عن التقديم للمديح التقليدي، إلا أن الباحثة نأت عن مدحيات الكلاعي التي يدعي البحث أنها شكلت أنموذجاً من نماذج التجديد على مستوى الشكل والمضمون

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 509 05/06/2024 11:42 AM

وفي بحثه "في شعر المديح النبوي بالأندلس" وقف (الوائلي، 2011) على قصيدتين نادرتين للشاعر الأندلسي؛ أبي الحسن الإشبيلي (ت: 544هـ)؛ حيث أسفر استقصاؤه لمظان الأندلس عن كونهما قد مثلتا بداية القصائد الطوال في المديح النبوي بدلاً من الاقتصار على المقطعات كما كان سائداً. وتأسيساً على ما سبق، خلص الباحث إلى أنهما مثلتا سبقاً زمنياً في قصائد المديح الأندلسي من باب طولهما، حيث انعقدت إحداهما على ستة وخمسين بيتاً. وقمين بنا التنبيه على أهمية نتائجه، بيد أنه من الحري أيضا الإشارة إلى تركه الخوض في عناصر التقليد والتجديد في المديح الديني من باب المضمون والسمو الفني، وهو ما يسعى إليه بحثنا.

هذا وقد سعت (عمراني، 2022) في بحثها "المدح النبوي ومضامينه في البيان الشعري الأندلسي، نماذج مختارة" إلى التعريف بفن المديح النبوي الأندلسي في شكلة ومضمونه من خلال الوقوف على موضوعات بعض النماذج المختارة. وقد خلصت إلى تميز هذه المدائح بالكثرة والشمولية وأنها خالفت سابقتها في نبذ التكسب والتملق. ولعل إهمالها العودة إلى شعر أبي الربيع كان سبباً لإغفالها بعض عناصر التجديد التي سيأتي عليها البحث من خلال وقفاته النصية مع قصيد هذا الشاعر.

وكان من أهمَّ ما توصلت إليه عناية الباحثين المحدثين بأبي الربيع ما قام به محققو كتبه، كالذي فعله علي الكردي في النكتة، و حياة قارة في جهد النصيح، ومصطفى عبد الواحد في الاكتفاء. وتجدر الإشارة إلى ما قامت به ثريّا لهي من إبانة وافية للجوانب المتصلة بحياة هذا العلم ومؤلفاته وشيوخه وتلاميذه، في كتابها (أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، حياته وآثاره). بيد أنها اكتفت بالتعرض إلى النزر اليسير من شعره، من دون أن تستفيض في الإحاطة بخصائصه، ممّا يستدعي التفات الباحثين لدراسته دراسة موسعة. وجدير بالذكر أن البحث وقف على دراستين متواضعتين تناولتا التعريف بالنتاج الشعري لأبي الربيع، أولهما بعنوان : "الشاعر الشهيد أبو الربيع بن سالم الكلاعي" (حامد، 2000)، والثانية بعنوان "رائية أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي البلنسي (قارة، 1993). وكلاهما لا تتناولان الشاعر بوصفه أحد المجددين في المديح الديني الأندلسي وفقاً للطرح الذي يتبناه البحث

أولاً- التعريف بأبي الربيع الكلاعي

أبو الربيع هو "سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي" (الرعيني، 1962، 66). ولد خارج بلنسية، سنة 565هـ (النبهاني، 1995، 153)، و توفي سنة 634هـ (اليافعي، 1997، 4، 68). ورد اسمه بضم الكاف، والكُلاعي: الشجاع، مأخوذ من التكلُّع، أي البأس والشدة (ابن منظور، كلع). لكن القول الذي تجمع عليه المصادر أنه بفتح الكاف وتخفيف

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 510 05/06/2024 11:42 AM

اللام، والكَلاعـي: نسـبة إلـى ذي الـكَلاع، قبيلـة مـن حميـر القحطانيـة (السـيوطي، 1991، 2، 218). صنِّـف مـن أقعـد النّـاس فـي النسـب، والغالـب أنـه كان مـن أسـرة موسـرة، ممـا هيَّـأ لـه طلـب العلـم (الذهبـي، 2006، 23، 137). أصيـب فـي ابنـة لـه ماتـت صغيـرة، فرثاهـا في شـعره. كمـا بغتتـه الأيـام بزوجتـه، فألمـح إلـى فقدهـا، فـي حيـن لـم يكـن لـه مـن الأولاد البنيـن مـن هـو أهـلٌ لأن يورثـه صناعـة الكتابـة (الكلاعـي، 2001، 82)

وأبـو الربيـع إمـام وراويـة وأديـب مجـود، حـدَّث وجمـع مجاميـع مفيـدة تـدلُّ علـى غـزارة علمـه وكثـرة حفظـه (المنـذري، 3، 462). كان عالمـاً بصناعـة الحديـث، حافظـاً لـه، ضابطـاً لأسـانيده، كمـا كان بارعـاً فـي علـوم القـرآن والتَّجويـد، وهـو ختـام الحفـاظ فـي زمانـه (الذهبـي، 1988، 174). والكلاعِـيُّ شـيخ البلاغـة فـي الأندلـس، فقد كان أديبـاً بـارزاً فـي الشِّـعر والنَّثـر، ولـم يكـن نظّامـاً مقلـداً متصنعـاً وإنمـا مجيـداً فـي التصويـر (الكلاعـي، 1997).

انقسـمت حياتـه إلـى مرحلتيـن، قضـى الأولـى فـي الطـواف ومجالسـة الشـيوخ، وقضـى الثانيـة مختلفـاً إلـى تلاميـذه، فأصـدر تآليفـه فـي علـوم القـرآن والحديـث والأدب. مـن شـيوخه ابـن عـذاري والسرقسـطي (المراكشـي، د.ت، 6/ 499 و 5/ 140). ومـن تلاميـذه ابـن الأبـار و ابـن عميـرة (المراكشـي، د.ت، 5، 274 و 6، 253). ومـن مؤلفاتـه فـي الأدب: نكتـة الأمثـال و جهـد النصيـح. (المراكشـي، 4/ 85، 16). ولـه فـي التّاريـخ: الاكتفـاء، وفـي الحديـث: الـمسلسلات مـن الأحاديـث والآثـار والإنشـادات (المراكشـي، 4/ 6 و 2/ 709 و4/ 85)

ثانياً- موضوعات المديح الديني في رائية الكلاعي

1. المديح النبوي

تنظـم المدائـح النَّبويَّـة سـيرة سـيدنا محمَّـد -صلـى الله عليـه وسـلم-، أو تتحـدَّث عـن صفاتـه الخُلُقِّيـة أو الخَلْقِيَّـة، أو تذكـر معجزاتـه أو غزواتـه، أو تُعَظِّـم آثـاره، مـع إظهـار الحـبّ لـه، والشَّـوق لرؤيتـه، والتَّلهُّـف لزيـارة الأماكـن المقدَّسـة المرتبطـة بـه، والـصَّلاة عليـه. وفـي قصائـد المديـح النَّبـويّ يناجـي المـدّاح ربَّـه بوسـاطة مـن نبيِّـه، فيذكـر عجـزه عـن حصـر مناقبـه، ويعتـرف بزلاتـه وذنوبـه، فيطلـب التَّوبـة والمغفـرة، ويتطلـع إلـى نيـل الشَّـفاعة، لـذا كثيـراً مـا يتـم تأليـف الـكلام فيـه بمشـاركة مـن معجـم الزُّهـد والتَّصـوُّف. ولا ريـب فـي عـد الشـعر الـذي قيـل فـي النَّبـيِّ بعـد وفاتـه مـن بـاب المـدح، إذ يتوجـه الشـاعر "بكلامـه إلـى النَّبـيّ؛ يناديـه ويناجيـه، فيسـمعه ويلبِّيـه، محققـاً مبـادئ هـذا الفـن مـن تمـدُّح لشـجاعته واستحسـان لأخلاقـه" (لجنـة مـن الأدبـاء، 1992، 72)

وقـد اتَّبـع الكَلاعِـيُّ منهجـاً واضحـاً وهيـكلاً منظمـاً فـي قصيـدة المديـح الدينـي مـن حيـث البنـاء الفنـيّ والمضمـون؛ إذ أولـى مسـألة تحقيـق التَّناسـب بيـن أجـزاء القصيـدة عنايـةً خاصَّـةً،

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 511 05/06/2024 11:42 AM

جرياً على منوال من سبقه. فعمد في قصيدته المدحيَّة الرَّائيَّة الَّتي سمّاها (نَتيجَة الحبّ الصَّميم وزكاة المَنظوم والمَنثور) إلى التَّقديم بنسيب مجازي إيحائي قريب، اتَّسم بعاطفة مشبوبة للنَّبي الكريم. ثم تخلص بوصف النعل الشريفة، ذاكراً بعد ذلك بعضاً من معجزات النبي الكريم، مكثراً من الصلاة عليه. ثم استظهر صحابته من العشرة المبشَّرين بالجنَّة، مفتتحاً بذكر الخلفاء الأربعة، فقسم لكلٍّ منهم حظّاً من المدحة، وتدرَّج في ذكر أسمائهم وصفاتهم، تبعاً لدرجاتهم، وما اشتهروا به. ثمَّ انتقل إلى آله -عليه الصَّلاة والسَّلام-، فذكر عمَّيه الحمزة والعبّاس، وسبطيه ابني فاطمة، كما أزكى ثناءه على الأنصار. ونظم إلى سلك من أهداهم الثَّناء أزواجه؛ خديجة وعائشة وحفصة. وفي خاتمة قصيدته اعتذر إلى الممدوحين بجملة من الحجج عن إيفائهم شأو حقّهم، داعياً الله أن يجازيه العفو والمغفرة

ومقدمة القصيدة الرائية لبنة أساسيَّة في معمار المدحة النبوية ولازمة من لوازم تماسك بنائها وصدق موضوعها. وقد صدر أبو الربيع فيها عن منزعٍ ذاتيّ تجديدي حكمه الموروث الثَّقافي والإرث الفنيّ، معبراً عن ذوق جماعيّ في طرح موضوع الحبِّ النَّبويِّ والاستهلال به لشدّ الأسماع، لذا لاءمت المقدِّمة المقام. قال أبو الربيع (السبتي، 1982، 6/ 23):

يا مَنْ لِصَبٍّ يَرى أَشْجانَهُ النَّظَرُ مَهْما تَبَدَّى لَهُ مِنْ حُبِّهِ أَثَرُ

يَفِيْ لَهُ الصَّبْرُ عِنْدَ النّائِباتِ فَإِنْ يَلُحْ لَهُ أَثَرٌ لَمْ يَبْقَ مُصْطَبِرُ

وَذاكَ غَيْرُ ذَمِيْمٍ فِيْ مَواقِفِهِ إذا تَعَقَّبَهُ التَّنْقِيْحُ وَالنَّظَرُ

فَلا يُبالِيْ الشَّجِيْ وَجْداً يُعالِجُهُ فِيْ ذاكَ لَوْ طارَ مِنْ حافاتِهِ الشَّرَرُ

وَلَيْسَ يَنْوِيْ اعْتِذاراً عَنْ لَواعِجِهِ فَما عَنِ الرُشْدِ وَالتَّوْفِيْقِ مُعْتَذَرُ

استعار الشاعر في هذا الاستهلال صوت الشَّاعر العذريّ الَّذي لا يخرج عمّا تقتضيه صفة التَّأدب. وقد وصف لواعج الهوى والصبابة التي تتبدى للناظرين فلا يبقى له مصطبر معها، مقدماً للمدحة بالنسيب، وهي عادة متأصلة هدفها إثبات المقدرة الشعرية والتمهيد للغرض الأساسي. بيد أن النسيب الذي تصدر هذه القصيدة ليس مقصوداً لذاته وإنما موشح بالرمز إلى حب النبي الممدوح. وهذه الرمزية تنأى به عن التقليد الحرفي، وتقربه من نطاق التجديد. ومما يميز هذا النسيب صدق العاطفة وعمقها وابتعاد مشهد التصوير الذاتي عن الصفات الحسية، وهو ما يجعله متصلاً بالعواطف الدينية ومختلفاً عن النسيب التقليدي الذي يصرح بوصف المحبوبة، ويبكي الأطلال. ولعل بعض مظاهر التجديد كامنة في هذا الاتصال الروحي بين النسيب وجسد القصيدة.

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 512 05/06/2024 11:42 AM

وتجدر الإشارة على مستوى البناء الفني إلى كلمة (أثر) التي يسوقها الشاعر في المقدمة على سبيل التجنيس، والتي تومئ إلى المدح النبوي كغرض أساسي من القصيدة، مما يوحي بقدرته على ربط المدحة بالمقدمة شكلياً ومعنوياً. كما تجدر الإشارة إلى أنه التقى مع مداحي عصره من حيث الاستعانة بالمعاني البسيطة والألفاظ الواضحة والتشبيهات القريبة، بيد أنه ابتعد عن التَّلفيق، وأكسب البنية الصَّوتيَّة اللُّغويَّة بعداً تأثيريّا من النّاحيتين الموضوعيَّة والنَّغميَّة من باب التجديد. فقد جوّد المطلع من غير صنعة، بوساطة النِّداء والتَّصريع والتَّجنيس (يا مَنْ لِصَبٍّ) (النَّظَرُ/ أَثَرُ) (يَفِيْ لَهُ الصَّبْرُ/ لَمْ يَبْقَ مُصْطَبِرُ). كما زاوج بين الخبر والإنشاء، وبين الجمل الفعليَّة الدّالة على الانفعال (يَرى أَشْجانَهُ النَّظَرُ) (تَبَدَّى مِنْ حُبِّهِ أَثَرُ) والجمل الاسميَّة الدّالة على التَّوازن والهدوء (وَذاكَ غَيْرُ ذَمِيْمٍ فِيْ مَواقِفِهِ) (فَما عَنِ الرُّشْدِ وَالتَّوْفِيْقِ مُعْتَذَرُ). يضاف إلى ما سبق أنه أسند إلى هذا النَّمط اللُّغوي المتنوّع نمطاً موسيقيّاً لافتاً، إذ جمع أصوات الصَّفير والهمس (حُبِّهِ - حافاتِهِ - الصَّبْرُ) إلى أصوات الجهر (لَواعِجُهُ – الشَّجِي - مُصْطَبِرُ)

وبالإضافة إلى طول الرائية كمدحة نبوية، فإن من ملامح التجديد حسن التخلص الذي يتبدى في الأبيات الثلاثة الأخيرة في النص السابق، وهو ملمح من ملامح التماسك النصي الذي تفتقده النبويات التقليدية التي دار أغلبها في مقطعات قبل عصر الشاعر. وبراعة التخلص عند الآمدي تسمى الخروج، وهو "أن يجعل الشاعر له سبباً يصل النسيب بالمدح" (الآمدي، د.ت، 2، 295). والملاحظ أن الكلاعي راعى فيه التأنق والملاءمة للاستطراد والمناسبة المستتبعة. فالرابط بين المقدمة ووصف النعل الشريفة كان من خلال الإقرار بأن الوجد الذي يعالج الباث لا يستوجب الذم أو الاعتذار لأنه عند التنقيح رشد وتوفيق. وبهذا التخلص الحسن حافظ الشاعر على تماسك بناء القصيدة ووحدتها العضوية.

والاختتام في الرائية قفلٌ جيِّدٌ، لأنه يتَّصل بالمعاني المطروحة في حشو القصيدة، ويُؤذن بانتهائها، ويهيِّئ السَّامع لاسترجاع ما تَقَدَّم، فلا يحتاج إلى زيادة في الشَّرح والتَّوضيح؛ إذ لا يستأنف الشاعر فيه كلاماً يميل عن جوِّ المعنى العامِّ وعن غرضه الأساسيِّ. قال الكلاعي في خاتمة قصيدته الرَّائية (البونسي 2004، 482):

وَفِيْ الدُّعاءِ رَجاءٌ لا يَخِيْبُ وَلا يغب مُرْتَقَبٌ مِنْهُ ومُنْتَظِرُ

فَاصْدَعْ بِهِ يا لِسانِيْ ضارِعاً أَبَداً فَفِيْ الضَّراعَةِ ما يُقْضى بِهِ الوَطَرُ

وَجازِ يا رَبِّ قَلْبِيْ عَنْ مَحَبَّتِهِمْ عَفْواً يُزَوِّدُنِيْ إِذْ جَدَّ بِيْ السَّفَرُ

فهذا الاختتام بالتَّضرُّع إلى النبيّ الكريم - بما فيه من تأليفٍ للكلام على نحوٍ عذبٍ جزلٍ- متوافقٌ مع ما يقتضيه الحال. فرجاء الشّاعر زيادة العفو أدخل الخاتمة بما يناسب

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 513 05/06/2024 11:42 AM

غرض المديح النبوي، لذا لم يخرج النَّص عن المقصد الأساسي الذي يُنظم من أجله المدح عموماً، وهو تكسُّب المنفعة والعطاء، كما أنَّه لم يبتعد عن استخدام أساليبه الخاصَّة كالدُّعاء. على أنَّ المنفعة المتوخاة دينيَّة، والدُّعاء موجَّه إلى الله تعالى، لا إلى الممدوحين

واتَّجهت مدائح أبي الرَّبيع إلى القيم التَّقليديَّة الَّتي تواضعت عليها الأعراف والعادات، كالكرم والشجاعة والحلم والإغاثة، بوصفها قيماً أقرّها الإسلام وأيَّدها، بيد أنه سار بها نحو التطوير الناشئ من ثقافته الإسلامية. وتعاظُمُ الشُّعورِ الدِّينيِّ لدى الشّاعر له علاقةٌ وطيدةٌ بالحالة السِّياسيَّة الَّتي شهدتها الأندلس آنذاك. فقد عايش في حياته فترتين متباينتين: الأولى فترة أمن وازدهار وانتصارات عسكريَّة، والثّانية فترة تدهور وفتنة وانهزام. وأمام الانهيار في القيم الاجتماعيَّة، انطلق بعض الشُّعراء ومنهم الكلاعيّ بنَفَس شعريّ دينيّ ينتصر للشَّريعة الإسلاميَّة ورموزها ومقدساتها من الدَّيانات الأخرى؛ إذ وجد "في اللُّجوء إلى الدِّين بعض الطمأنينة والأمل بالخلاص" (كردي، 2010، 125). لذا قدَّم الكلاعيُّ سيِّدنا محمداً -عليه الصلاة والسلام- مثالاً أعلى في صفاته، ليكون نبراس هداية يسعى النّاس لإحيائه من خلال الاقتداء به، فتُستمدُّ منه القوَّة والقدرة على غلبة أعداء الدِّين. واتَّكاء الكَلاعيّ على القيم المدحية التَّقليديَّة كان عتبة للوصول إلى المضامين الدِّينيَّة الجديدة، فبينما استوحي من موروثه الثَّقافيّ صور فضله وحكمته وكرمه وشرف أصله عليه الصَّلاة والسَّلام، انحرف باللُّغة والمعاني عن اتِّجاهها القديم فوضعها في سياق دينيّ أكثر حداثة، ليناسب المقام. قال أبو الربيع (البونسي 2004، 476):

مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمُ مِمَّنْ نَمَتْ يَمَنٌ أَوْ مَنْ نَمَتْ مُضَرُ

أَزْكى صَلاةٍ وَأَنْمَاها مَدى شَرَفٍ بِكُلِّ مَعْنى لَدى الإِعْياءِ يُعْتَبَرُ

عَلى البَشِيْرِ النَّذِيْرِ المُنْتَقى كَرَماً مِنْ مَحْتِدٍ طابَ مِنْهُ الخُبْرُ والخَبَرُ

عَلى الَّذِيْ ابْتَهَجَتْ سُبْلُ النَّجاةِ بِهِ عَلى الَّذِيْ خُتِمَتْ فَخْراً بِهِ الرُّسُل

فالإطار العام للقيم المدحيَّة الدِّينيَّة هنا تقليدي، لأنَّ الممدوح حاز قصب السَّبق في أخلاقه وأفعاله. وهذا المعنى المدحي تقليدي متداول، والجديد اقترانُه بفكرتي التَّفضيل والاصطفاء المطلقين، أي تخييره -صلى الله عليه وسلم- على الخلائق قاطبةً، وانتخابه ليكون مرآة شريعة كاملة لم يسبق إليها نبي من قبل. ودارت هذه القيم في النَّص على غاية من الانسجام، فالله -تعالى- جعل لمحمَّد نسباً عريقاً ينتهي عند قريش -خير الأمم-، لكنَّه اختار من خير أمَّة محمَّداً ليكون سيّدها، كما أنَّه -عزَّ وجلَّ- فضَّل الأنبياء على سائر البشر، ثمَّ اصطفى من الأنبياء ناسخ رسالتهم. وبهذا اكتسبت القيم المدحية من السِّياق دلالات وإيحاءات دينية، فخرج المضمون المدحي من معانيه المعجميَّة التَّقليديَّة إلى معان دينيَّة محدثة

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 514 05/06/2024 11:42 AM

ومن مظاهر التقليد فنياً في النص السابق التحامه بالتناص الديني الذي امتدت أبعاده على مساحات كثيرة ومتعددة في الرائية. بيد أن الاعتناء بدقة العبارة وجمالية الصياغة واعتماد الأساليب التي تحقق الإيقاع كالتجنيس والتوازن والتكرار خليق باعتباره من باب التفرد على المستوى الفني. وبالعودة إلى النص السابق فإن الانسجام لم يأت من اكتساب الألفاظ المحوريَّة دلالات سياقيَّة ومعجميَّة فحسب، وإنَّما أتى من إلحاح الشّاعر على عدَّة أساليب إيقاعية لافتة. وأظهر المتوازيات الصوتية ما وقع بين كلمتي (البَشِيْر/ النَّذِيْر)، وهما كلمتان جامعتان تتميَّزان من حيث الصِّياغة بما يعزز انتماءهما إلى مقبوس قرآني وصف الله فيه نبيَّه بأنَّه (نَذِيْرٌ مِنَ العَذابِ) و (بَشِيْرٌ) بالجنّات: {يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيْراً...} (الأحزاب، 45). ولا ريب أن الكلاعي قد اعتمد هنا على ما اقتضاه وصف الله لنبيه في نسبه بأنَّه من صميم العرب وخالصها: {لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُوْلٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...} (التوبة، 128)، كما غمز إلى فكرة تفضيل أمَّة العرب على كلِّ الأمم، لأنَّ محمَّداً خير الخلق كلِّهم، وفق ما تؤدِّي إليه الآية: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ} (آل عمران، 110). فسار مع الآيات الَّتي تقرِّر اصطفاء سيدنا محمَّد ليكون خاتم الأنبياء: {ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُوْلَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّنَ...} (الأحزاب، 40)، كما استوحي ما ورد في الحديث الشَّريف، إذ هو المصطفى من كنانة. وأينما وقع التَّناص مع القرآن والحديث في شعر أبي الرَّبيع انكشفت المرجعيَّة الدِّينيَّة في مخزونه الفكري، وتجلَّت الفخامة الَّتي تُعوِّض علوَّ الأداء في التَّصوير، ممّا ينفي عن شعره صفة الضَّعف الَّتي اتَّصف بها الشِّعر الدِّيني عموماً، إذ أسمع "الطَّبقةَ العالية من الكلام من القرآن والحديث الَّذين عجز البشر عن الإتيان بمثلها"(ابن خلدون، 1996، 544)

واتَّخذ أبو الرَّبيع من قصيدته الرائية في المديح الديني وسيلةً للاطمئنان ومطيةً للدُّعاء. فقد جذبته المصائب إلى رسول الله، يستمد منه العون، ويستعين بجاهه. فهو ملجأ العباد، ومصدر النَّجاة يوم القيامة. ولا ريب أن التَّوسُّل بالنَّبيِّ واحد من المعاني المدحيَّة التقليدية المتداولة في الشعر الأندلسي خصوصاً والعربي عموماً . قال أبو الربيع (البونسي 2004، 477)

عَلى ابْنِ أَمِنَةَ المرْجُوِّ نائِلُهُ يَوْمَ القِيامَةِ إِذْ يُهْدى لَهُ الظَّفَرُ

عَلى المؤَثَّلِ دُوْنَ الأَنْبِياءِ إِذا جَدَّ الحِسابُ وَأَدَّتْ فَيْحَها سَقَرُ

فالمذنبون الَّذين ماتوا على دين التَّوحيد يرغبون إلى الله بالدُّعاء يوم القيامة عن طريق سيِّدنا محمدٍ، فيطلبون عتقهم من عذاب النّار وصرفهم عنها وإدخالهم الجنَّة ورفع مقامهم فيها، ونتيجةً لذلك تصبح الشَّفاعة نائلةً يتمنّى النّاس الحظوة بها وتحصيلها

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 515 05/06/2024 11:42 AM

والنَّبيُّ الكريم في الرائية ذو بركة شّاملة، فهو مؤمَّل النّاس وشفيعهم من دون الأنبياء، وهو مصدر رحمة ومضاعفة أرزاق. فبسبب الإيمان الَّذي يغمر قلبه بعاطفة الشَّفقة والإحسان تستجيب له عناصر الطَّبيعة بأمر من الله، فتُمطر السَّماء بعد طول إجداب للأرض، ويداه تباركان الطَّعام والشَّراب والرِّزق أيّام العسرة، فيزداد ويتضاعف. وكلها من المعاني التقليدية. قال أبو الربيع (البونسي 2004، 478):

فَيا لَيْمُنِ مُحَيَّا إِنْ سَأَلْتَ بِهِ فِيْ الَجَدْبِ جاءَكَ وَفْقَ البُغْيَةِ المَطَرُ

وَيا لَيْمُنى ويُسْرى ما عَطاؤُهُما فِيْ أَعْسَرِ العُسْرِ إلا اليُمْنُ وَاليُسُرُ

وأميز المعاني المدحيَّة التقليدية في الرائية الصَّلاة على النَّبي أمداً لا انقضاء له. والصَّلاة عليه يجتمع عليها الله وملائكته وأهل السَّماء وأهل الأرض والشَّمس والقمر والنَّور والظُّلمات وكلُّ ما لا يُحصيه عدٌّ. فإذا كانت الصَّلاة حاصلة من الله فهي ثناءٌ على رسوله ورحمةٌ ومغفرةٌ له وإظهارٌ لفضله وشرفه وإرادةٌ لرفع ذكره وتقريبه. وإذا كانت حاصلة من الإنس وسائر المخلوقات فهي تضرُّعٌ وثناءٌ وتعظيمٌ (الدمشقي، د،ت، 77). قال أبو الربيع (البونسي 2004، 476):

مَنْ صَرَّحَتْ بِمَزايا فَضْلِ سُؤْدُدِهِ أَيُ الكِتابِ وَشادَتْ مَدْحَهُ السُّوَرُ

وَفِيْ الصَّلاةِ عَلَيْهِ أَيُّ ما وَطَرٍ فَلا يَعُوْقَنْكَ عَنْ إِدْمانِها وَطَرُ

وَنادِ فِيْ كُلِّ نادٍ إِذْ تَمُرُّ بِهِ نِداءَ مَنْ أُحْكِمَتْ مِنْ حُبِّهِ المِرَرُ

صَلِّى الإِلَهُ وَأَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمُ مَعَ السَّماءِ وَشَمْسُ الأُفْقِ وَالقَمَرُ

وَالأَنْجُمُ الزُّهْرُ فِيْ أَعْلى مَعارِجِها وَالنُّوْرُ وَالظُّلُماتُ البُهْمُ وَالغُرَرُ

استدلَّ الشّاعر هنا على استحسان المدح من الذِّكر الَّذي لم يأل حمداً وتعظيماً لفضائل سيِّدنا محمَّدٍ حتّى استوفاها. فإذا صاغ الله مدحه صريحاً في كتابه، بذكر جليل صفاته، وتقرير عظيم أخلاقه، وتزكية عقله ولسانه وشرعه، وتوَّج ذلك بالصَّلاة عليه، فليس للشّاعر إلا أن يعدَّه وساطة كسب عظيم يبتغيه لقضاء الحوائج والأوطار. لذا أتت دعوته إلى الصَّلاة على النّبيّ بسبب الفوائد الحاصلة منها، فانصرف إلى تعداد أشكالها ومصادرها وأحوالها. ولم تجانب العلاقات الَّتي أقامها بين النَّبي وبين عناصر الكون الواقعَ، فالإشادة به "تتضمن علاقته بالأرض ومن عليها، وعلاقته بالسّماء ومن فيها، لأنَّه سفير السَّماء والأرض" (عيد، د.ت، 32)، وهذا يعدَّ ترجمة لما ورد في كتب الفقه من بيان لمعاني الصَّلاة على النبي الكريم

21-2 .indd 516 05/06/2024 11:42 AM

ولم يتوقَّف الكلاعيُّ في الرائية عند جانب السِّيرة النَّبويَّة طويلاً، ولم يتناوله بالتَّفصيل، بل مرَّ سريعاً على واقعة بعثته، فوصفها بأنَّها طالع سعدٍ، كما ألمح إلى فكرة نموِّ رائحة الطِّيب إلى تربة قبره عليه الصَّلاة والسَّلام. والنهوض بهذه المعاني ذو مضامين متشابهة عند غالبية المداحين لذا فقد صدر فيه الكلاعي مقلداً لا مجدداً. قال أبو الربيع (البونسي 2004، 478):

عَلى الَّذِيْ حُبُّهُ مَوْتٌ بِمُخْلِصِهِ عَلى مَشارِعِ صَفْوٍ ما بِها كَدَرُ

صَلاةَ صِدْقٍ وَإِخْلاصٍ إذا صَدَرَتْ عَنِ الضَّمِيْرِ فَلا رَيْبٌ وَلا سَدَرُ

تَزُوْرُ تُرْبَتَهُ دَأْباً نَوافِحُها فَيَسْتَمِدُّ شَذاها الرَّوْضُ وَالزَّهَرُ

إذا اِنْبَرى رائِحٌ مِنْها يُيَمِّمُها باراهُ فِيْ قَصْدِهِ المَحْمُوْدِ مُبْتَكِرُ

فَلا تَزالُ بِها الآذانُ عالِيَةً يَحْدُوْ بِها السَّفْرُ أَوْ يَحْلوْ بِها السَّمَرُ

ومهما يكن من قيام هذا المقطع الشعري على المعاني التقليدية إلا أن ديناميَّة النَّظم فيه تعود إلى براعة الشَّرح المعقود على معان رشيقة مُنَغَّمة. فيوم مبعث النَّبيّ كان بشارة خير، كُتِبَتْ به ولادة فجر جديد للعرب، لذا تنتشر نوافح طيب الصَّلاة الخالصة الَّتي تقام في مسجد النَّبيّ أو في أي مجلس يُصلّى فيه عليه حتّى تبلغ تربة قبره. وكلَّما هبَّت نفحاتٌ إيمانيَّةٌ عَطِرَةٌ وقصدت تربته الطَّاهرة باراها مُبْتَكِرٌ يقصد الرِّحاب الشَّريفة، فلا تزال الآذان تتشرَّف بسماع الصَّلاة، ولا يزال المسافرون يتبرَّكون بها، ويجعلونها عماد مسامراتهم في مجالس الذِّكر. وهذه المعاني المكرورة الَّتي اتَّجهت إليها عناصر القصيدة -وهي حبُّ النَّبيِّ، والشَّوق إليه، ورجاءُ الخلود إلى جواره، بزيارة الأماكن المقدَّسة الَّتي ترتبط به، وخصوصاً قبره- ليست إلا محاولة من الشّاعر للتَّأثير في السّامع، في سبيل شحن عواطفه وحثِّه على القيام بما يقتضيه هذا التَّحفيز، وهو العودة إلى الإسلام وتأدية مناسكه والقيام بفروضه وسننه، ومنها الجهاد في سبيل الله

ومن المعاني التقليدية في المدح النبوية ذكر الخوارق الماديَّة والمعنويَّة الَّتي أجراها الله على نبينا الكريم لتكون برهان نبوته ودليل صدقه. وتعدُّ المعجزة الَّتي تخرق ما هو معتاد من سنن الكون بإرادة الله محوراً أساسياً نهضت به الرائية. فقد اعتنى أبو الرَّبيع بعدِّ بعضها، كتسليم الشَّجر والحجر عليه، ونبع الماء من بين أصابعه، وهطول المطر بالتوِّ لارتفاع دعائه صلى الله عليه وسلم. وعلى الرغم من صدور الكلاعي مقلداً في هذه المعاني إلا أنه يمكن الادعاء بأن طرافة الأسلوب الفني في التعبير عنها وجاذبيته لم يكن سائداً في النبويات عموماً. قال أبو الربيع (البونسي 2004، 477):

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 517 05/06/2024 11:42 AM

عَلـى الَّـذِيْ كَلَّمَتْـهُ الشّاةُ مُشْعِـرَةً بِسُمِّهـا فَانْثَنـى عَـنْ قَصْدِها الضَّـرَرُ

عَلـى الَّذِيْ لَمْ تَـزَلْ تُهْـدِيْ تَحِيَّتَها إِلَيْـهِ مَهْمـا رَأَتْـهُ الأَرْضُ وَالشَّجَـرُ

عَلـى الَّذِيْ كانَ يُسْتَسْقى الغَمـامُ بِـهِ فَتُسْتَدَرُّ بِـهِ مِـنْ صَوْبِـهِ الـدُّرَرُ

عَلـى الَّـذِيْ نَبَعَـتْ بِالـرِّيِّ أَنْمُلُـهُ لِلْوارِدِيْـنَ فَهـالَ الـوِرْدُ وَالصَّـدَرُ

لقد اتَّسم بناء النَّص من النّاحية الصَّوتيَّة بتكرار ألفاظ متَّحدة من جميع وجوه الشَّكل والمعنى أربع مرّات: (على الَّذي). وعبر هذا عن تأكيد التَّعظيم له -صلى الله عليه وسلم-، ولعله اعتراف متكرِّر بهذه المعجزات. واعتماد الإيقاع اللافت في هذا السياق مع لجوء الشّاعر إلى توصيف المعجزة بأسلوب تخييلي -على غير ماجرت عليه العادة في إنشاء الشِّعر الدِّيني- فيه بعض الجدة والطرافة. فقد بدا الشاعر كما لو أنه أراد أن يجانس بين الأحداث الإعجازيَّة وأسلوب التَّعبير عنها.

والنهج الجديد الذي اتبعه الكلاعي متجاوزاً في مضمونه ما سار عليه السابقون يتجلى في اتخاذ مثال النعل الشريفة وسيلة للتقرب في شعره. وسنَّة أبي الرَّبيع هنا سنَّة العاشقين المتصوِّفة الَّذين يتوسَّلون بالنَّعل فضل الله وعفوه، فيتَّخذونها زلفى لإزاحة الآثام. وقد اهتمت كتب السيرة النبوية بهذا الأثر فبينت صفاته، كما أفرد المقري للأشعار التي قيلت في مدحه كتابه: " فتح المتعال في وصف نعال النبي". وجدير بالذكر أن البحث في هذا المؤلَّف أسفر عن كون أبي الربيع سباقاً للخوض في هذا الموضوع الذي يكاد لا يتقدمه فيه إلا السبتي صاحب الكتاب المفقود "نور العينين في تحقيق النعلين". أما الكلاعي فقد ألف في النعل كتابه "نتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم". وفي الرائية يقول أبو الربيع (المقري، 2004، 494):

مِثالُ نَعْلِ النَّبِـيِّ الـمُصْطَفى عِوَضٌ مِـنْ نَعْلِـهِ حِيْـنَ حالَـتْ دُوْنَها الغِيَرُ

فَمَـرِّغِ الشَّيْبَ فِـيْ ذاكَ المِثالِ عَسى بِـذاكَ شَوْبُـكَ لِلأَعْمـالِ يُغْتَفَـرُ

وَاسْتَشْعِرَنْ لَثْمَها فِـيْ لَثْـمِ مُمْتَثِلٍ بِـهِ حِذاءً لَها أَوْدى بِـهِ العُصُـرُ

نـوَّه الشّـاعر في هذه الأبيات بمذهبه في التَّوسل بمثال النَّعل النبوية واتخاذها ذريعة مقبولة عند فضل الله تعالى، فخالف صراحة المنكرين الذين وجدوا في ذلك غلوّاً مذموماً من مثل الخوارج. ولا ريب أنَّ التَّبرُّك بالنَّعل انعكاس للارتباط بالدِّين ورموزه، فالدَّعوة لاتخاذ رؤية مثال النَّعل معوِّضاً عن رؤيته "تعكس تعلَّقَ الأندلسيِّ بالمقدَّسات، كما أنَّها تُصوِّر حزنه لبعده عن الشَّرق"(الموسى، 2009، 489). لذا تذلل الشّاعر أمام النَّعل،

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 518 05/06/2024 11:42 AM

فقبَّلـه، ومـرَّغ فيـه شـيبه، علـى نحـوٍ لا يخلـو مـن مبالغـة ومغـالاة. ودللـت سـمات النَّـص اللغويَّـة والبلاغيَّـة علـى المعنـى، إذ عـرض الشّـاعر حجَّـة شـوقه فـي جملـة اعتراضيَّـة حكميَّـة، ليسلِّـط الضَّـوء عليهـا بجعلهـا مركـز الحديـث وبـؤرة السِّـياق. كمـا أوحـى بوجـود المخاطـب مـن خلال اسـتخدام النِّـداء والأمـر، وذلـك لِيَخْـرُجَ بالتَّعبيـر إلـى غـرض التَّرغيـب، وتركـت الجمـل الشـعريَّة الطَّويلـة أثرهـا فـي السّـامعين

2. مدح الصحابة

وتخالـف الرائيـة النبويـات التـي تفتقـد الوحـدة الموضوعية والعضويـة، وتهيمن عليهـا الألفاظ الفخمـة وغيـر المألوفـة. ومـن مظاهـر التجديـد فيهـا كمدحـة دينيـة علـى مسـتوى المضمـون أن الشـاعر لـم يجعلهـا وقفـاً علـى مـدح النبـي الكريـم، وإنمـا امتـد بهـا لمـدح الصحابـة وآل البيـت وأمهـات المؤمنيـن بوصفهـم جميعـاً رمـوز الاتِّجـاه الدِّينـيّ، لا رمـوز الأنسـاب والأوضـاع الاجتماعيَّـة المتباينـة، والغـرض اسـتنهاض الهمـم فـي عصـر التدهـور الأندلسـي. ومما يمكـن أن يعـد مـن بـاب التجديـد أن الشـاعر وصـل فـي وصـف الصحابـة إلـى حـد الإطنـاب مـع التصريـح بأسـمائهم مسـتخدماً اللطائـف البلاغيـة.

وفـي مـدح الكلاعـيِّ للصَّحابـة تغـن بالقيـم القديمـة الَّتـي عزَّزهـا الإسلام، ومـع أنَّ الحديـث تنـاول الفضائـل التَّقليديَّـة الَّتـي تمثَّلهـا الصَّحابـة كالكـرم والشّـجاعة، إلا أنَّـه عبَّـر عـن مثاليّـات إسلاميَّـة تجلَّـت فيهـم، الأمـر الَّـذي يفـرض علـى القـارئ أن يتَّخـذ شـعره "كدليـل لارتبـاط الشِّـعر عامَّـةً بالواقـع" (محمـد، د.ت، 15). ومـن الجديـر بالذكـر أنَّ الشّـاعر مـن أتبـاع مذهـب السُّـنَّة الَّذيـن يجعلـون الصَّحابـة أفضـل الخلـق بعـد الأنبيـاء، فقـد باشـر مـدح الصَّحابـة بعـد مـدح النَّبـيِّ، كمـا تـدرَّج فـي مدحهـم كُلٌّ بحسـب درجتـه ومنـزلته. فأولئـك أصابـوا مقامـاً عاليـاً لأنَّ الله اجتباهـم ليكونـوا خاصَّـة وصفـوة خيـر أنبيائـه، لكنَّهـم فـي شـرف الصُّحبـة علـى طبقـات، فخيرُهـم العشـرة المبشَّـرون بالجنَّـة، يتقدَّمُهـم الخلفـاء الرّاشـدون. قـال أبـو الربيـع (البونسـي 2004، 478):

وَبَعْـدَهُ صَلَـواتُ اللهِ عاطِـرَةً عَلـى الصَّحابَـةِ تَتْلُـوْ زُمْـرَةٌ زُهُرُ

جَماعَـةٌ تَحْسِبُ الصِّدِّيْقَ أَوَّلَهُمْ وَتِلْـوُهُ فِـيْ تَناهِـيْ فَضْلِـهِ عُمَرُ

وَلِلْشَّهِيْـدِ اِبْـنِ عَفّـانٍ مَكانَتُـهُ وَفِـيْ عَلِـيٍّ أَثـارَتْ سِـرَّها الأَثَرُ

لـم يكتـف الشّـاعر هنـا بالتَّلميـح إلـى فضائـل كلِّ خليفـة، وإنَّمـا صـرَّح بِتَقَدُّم أبـي بكـر وأوَّليَّتـه فـي مرتبـة الخيريَّـة، يليـه عمـر فـي تناهـي الفضـل، ثـمَّ عثمـان، ثـمَّ علـي -رضـي الله عنهـم أجمعيـن-. وقـد اسـتند فـي هـذا إلـى مـوروثٍ دينـيّ مُثْبَـت فـي كتـب أهـل الحديـث، وفيـه يُخَيَّـر الصديـق علـى عمـر، وعمـر علـى عثمـان، وعثمـان علـى علـيٍّ. وعليـه فـإن مـا جـاء بـه الشـاعر فـي المدحـة يتفـق مـع تصـور أهـل السـنة الذيـن يعتمـدون علـى مـا ورد فـي مصـادر التشـريع

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 519 05/06/2024 11:42 AM

الإسلامي، وهذه إحدى مظاهر التقليد في هذا الغرض، بيد أنه لم يتغول في الوصف على طريقة المتصوفة.

وسلَّط أبو الرَّبيع الضَّوء على قيم مدحيَّة تقليديَّة أقرَّها الإسلام في شخصيَّة الممدوح، كقيمة الكرم. فقد وظَّف للمدحة الَّتي قالها في الصَّحابيّ طَلْحَة بن عُبَيْد الله الألقاب الَّتي خلعها عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في ثلاث وقائع إسلاميَّة؛ هي معركة أحد، وغزوة ذات العشيرية، ويوم حنين، إذ سمّاه في الأولى: (طلحة الخير)، وفي الثّانية: (طلحة الفيّاض)، وفي الثّالثة: (طلحة الجود). قال أبو الربيع (البونسي 2004، 478)

وَطَلْحَةُ الخَيْرِ لا تُهْمِلْ فَضائِلَهُ وَفَيْضُ كَفٍّ لَهُ بِالجُوْدِ تَنْفَجِرُ

تلوَّنت مصطلحات الكرم الملتصقة بشخص الممدوح هنا بإيحاء حربي تبعاً للمكان الَّذي أُطلقت فيه عليه، فخرج الكلام إلى غرض التَّرغيب بالجهادين؛ الجهاد بالنَّفس، والجهاد بالمال. وقد حاول الشّاعر استثارة الكرم والشَّجاعة في نفس السّامع، فوصل القيم التَّقليديَّة بامتدادها الدِّيني

ولئن كان أبو الرَّبيع مسؤولاً عن أمور القتال والقيادة بنفسه في كثير من الأحيان، فقد تمثَّل قيمة الجهاد في سبيل الله، كما رسم صورة المجاهد من الصَّحابة بوصفه القائد العظيم الَّذي استطاع أن يسوس أمَّة المسلمين فيحقِّق لها النَّصر. وقد أظهر هذه القيمة المدحيَّة الإسلاميَّة التقليدية في شخصيَّة سَعْد بن أبي وقّاص؛ خال النَّبي - صلى الله عليه وسلم- ، وقد كان على يديه فتح العراق ومدائن كسرى. قال أبو الربيع (البونسي 2004، 478) :

وَمِلْ إلى الخالِ سَعْدٍ فَهُوَ مَنْ قَصَفَتْ بِهِ الأكاسِرُ قَصْفاً وَالقَنا كِسَرُ

فِيْ مَوْقِفٍ يُعْذَرُ الفِرارُ فِيْهِ فَما ثَناهُ عَنْ هَوْلِهِ جُبْنٌ وَلا خَوَرُ

فقد أبرز أبو الرَّبيع الجانب الحربيَّ في شخصيَّة الممدوح من خلال رسم صورتين من صور الحرب؛ إذ صوَّر في الأولى جهاد الصَّحابي ضد عدو فارسي كاسر لا يفتأ يكسر منه القنا والرِّماح، وجسَّد في الثَّانية ثباته من دون أن يثنيه عذر الفرار لهول أو جبن. فاستعان بمعجم الحرب التقليدي، موظفاً في المدحة مصطلحات المعركة (قَصْف - القَنا - هَوْل)، لكنَّه أوحى بالمرجع الدِّيني الذي يحكُم ثبات المجاهد، ويتمثل في الآية القرآنيَّة: {يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوْا اِصْبِرُوْا وَصابِرُوْا وَرابِطُوْا وَاتَّقُوْا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ} (آل عمران، 200). وإذ يقارن الشّاعر بين الماضي السَّعيد والواقع المرفوض فإنه يستحضر بطولات الماضي، الأمر الَّذي يجعل لمدحته "وظيفة تحريضرة استنفارية، بمعنى أنَّها لم تكن مدحاً بالمعنى المعهود المألوف، بل كانت استنفاراً للمسلمين في كل مكان" (شبيب، 1998، 78)

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 520 05/06/2024 11:42 AM

واعتنى أبو الرَّبيع بإبراز الجانب السياسي في حياة الصّحابي، فعكس المثال الديني الرفيع في شخصيته، على نحو ما فعل في مدح عبد الرحمن بن عوف، وهو أحد الستة أصحاب الشورى. قال أبو الربيع (البونسي 2004، 478):

وَالمُسْتَقِلُّ بِشُوْرى القَوْمِ مُؤْتَمَناً عَلى الخِلافَةِ يَأْباها وَيَنْشَمِرُ

ذاكَ الأَمِيْنُ اِبْنُ عَوْفٍ فارْضَ عَنهُ وَعَنْ جَمِيْعِهِمْ فَهُمُ أَهْلُ الرِّضى الزُّهُرُ

فقد أفاد الشاعر من ثقافته الدينية، إذ وظف كلمات ذات إيحاءات ودلالات فنية خاصة لم تكن مطروقة عند غيره من شعراء المديح الديني، وهو ما يمكن عده من باب التجديد. ففي وصفِ الصَّحابة بأنَّهم: (أَهْلُ الرِّضا الزُّهُرُ) إفادةٌ من نسب عبد الرحمن بن عوف؛ إذ إنَّه من عبد عوف القُرَشي الزُّهري. كما أنَّ في وصفه بالأمين إحالة لذاكرة السّامع وثقافته على ما رُوي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن عبد الرحمن، بأنَّه (أَمِيْنٌ فِيْ أَهْلِ السَّماءِ، أَمِيْنٌ فِيْ أَهْلِ الأَرْضِ) (النيسابوري، 1986، 3/ 310). وعندما قلَّد الشّاعرُ الممدوحَ وساماً، بوصفه الصَّحابيَّ الَّذي أبلى "بلاءً حسناً في سبيل الإسلام وكيانه" (عليان، 1990، 135) رصد موقفه السِّياسيَّ، وهو تعفُّفه وتنازله عن حقِّه في الخلافة، ثم تفضِّيه منها لصالح عثمان وقبول أصحاب الشُّورى من رشَّحه.

وعقد الشّاعر مدحة له على مقابلة بين صورتين للممدوح، تقتضي إحداهما الأخرى، الأولى: عزوفه عن الدُّنيا، والثّانية: إقباله على الآخرة. فقد مزج بين الصُّورة الدِّينيَّة لعامر أيّام السِّلم والصُّورة العسكريَّة له أيّام الحرب. فذكر زهده وإعراضه عن متاع الدُّنيا، كما ذكر تفوُّقه العسكريَّ وحنكته في شؤون القتال. فألمح إلى قتله أباه وإلى تمكُّنه من بسط سيطرته على بلاد الشام بعد أن سيَّره إليها النَّبيُّ أميراً. قال أبو الربيع (البونسي 2004، 479):

ثُمَّ اذْكُرَنْ عامِراً وَاعْمُرْ بِمِدْحَتِهِ أَسْماعَ كُلِّ عِبادِ اللهِ ما عَمَرُوْا

ذاكَ الَّذِيْ طَلَّقَ الدُّنْيا وَزُخْرُفَها فَما تَعَلَّقَهُ مِنْ غَمْرِها غُمَرُ

فَيالَهُ مِنْ أَمِيْرٍ باتَ مُدْرِكُهُ فِيْ كُلِّ ما كانَ يَأْتِيْهِ وَيَأْتَمِرُ

قام تماسكُ البناء الفنِّيّ في هذه المدحة على عناصر أسلوبيَّة متعدِّدة. فقد أدَّى التِّكرار والتجنيس إلى انسجام من النّاحية الصَّوتيَّة، إذ اشتقَّ الشّاعر عدَّة تقاليب لاسم الممدوح، (عامر - اعمر - عمروا)، كما ربط بين اللَّفظين (أمير - يأتمر) في سياقهما الدِّلاليِّ المشترك. ولم تضعف صوره المطبوعة صدقه الفنيَّ والموضوعيَّ كما هو الحال مع مدّاحي الشِّعر العربيّ عموماً، إذ انصرفوا في مدائحهم عن "الفن إلى التَّدجيل، وعن الطبع والشُّعور إلى النِّفاق" (نمر، 1982، 59)

21-2 .indd 521 05/06/2024 11:42 AM

وجمع أبو الرَّبيع إلى تديُّنه وورعه تفقهاً في الدِّين وتضلُّعاً بعلوم الشَّريعة، لذا استمد مضامين مدحه الصحابة من مصادر التشريع الإسلامي، وهو ملمح فني تقليدي. وقد حمل استلهامه نصوص القرآن الكريم والحديث النَّبوي الشريف أهدافاً انسجمت مع ما توخّاه في شعره من تعبير وتأثير واستنهاض للهمم، فاتسمت الرائية من الناحية الفنية بالسلاسة والوضوح. قال أبو الربيع (البونسي 2004، 478):

وَلِلزُّبَيْرِ حَوارِيُّ النَّبِيِّ سَنا جَلالَةٍ هِيَ فِيْ عَيْنِ العُلا حَوَرُ.

وَما تَأَخَّرَ عَنْ إِهْمالِ واجِبِهِ ذِكْرُ ابْنُ زَيْدٍ وَلَكِنْ قَبْلَهُ أُخَرُ

هُمُ الأُلى سَبَقَتْ ذِكْراهُمُ وَهُمُ أَهْلُ السَّوابِقِ لا مَيْنٌ وَلاهَذَرُ

وَكُلُّهُمْ وَسَعِيْدٌ عاشِرٌ لَهُمُ لا يَدَّعِيْ شَأْوَهُمْ فِيْ الفَخْرِ مُفْتَخِرُ

فوصفُ الزُّبير بأنَّه حواريُّ النَّبي أي ناصره مستمدٌّ من حديث نبويّ صريح جاء بلسان سيِّدنا محمد: "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيّاً وَإِنَّ حَوارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوّامِ" (الترمزي، 1999، 5/ 463). وهذه المكانة التي خُصَّ بها الزُّبير اشتقَّ لها أبو الرَّبيع صورةَ الجلالةِ السَّنيَّةِ المستحيلة حَوَراً في عين العلا. ويلاحظ أنَّه استعان لتبرير تدرُّجه في مدح الصَّحابة وتأكيد ابتعاده في الحديث عمَّن سبق عن الظَّن والخلط والكلام بما لا ينبغي بالتَّأكيدِ الإلهيِّ على نوال السّابقين بالخيرات الفضل الكبير، وهو دخول الجنَّة بغير حساب: {ثُمَ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِيْنَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالخَيْراتِ بِإِذْنِ اللهِ ذلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيْرُ} (فاطر، 32)

3. مدح آل النَّبيِّ والأنصار

وتلا مدحَ الصَّحابة في القصيدة المدحيَّة الرائية الكلاعيَّة مدحُ آل البيت، وهو ما يدل على تعلقه بهذه النُّخبة المباركة. وقد أشار الكلاعي من وراء حجاب إلى عد ابني عبد المطَّلب؛ الحمزة والعبّاس من أَجَلِّ أهل بيت النَّبي من عمومته مكانة، فالتزم بيان الملامح البارزة في المقام العالي لهذين الممدوحين، وهو المقامُ الَّذي اكتسباه من وقائع حقيقيَّة في تجربتهما الإسلاميَّة. ومن الجدير بالذكر أن الشعراء قيدوا محبتهم لآل البيت عموماً وعلي - كرم الله وجهه- خصوصاً، وقل أن يخصوا الحمزة والعباس بمدحهم الديني، وهو ما يمكن عده من باب التفرد على مستوى الموضوع. قال أبو الربيع (البونسي 2004، 479):

وَأَمْرُ حَمْزَةَ لا يَخْفى عَلى أَحَدٍ وَلا مَكانَتُهُ فِيْ الدِّيْنِ تُفْتَقَرُ

عَمُّ النَّبِيِّ وَلَيْثُ الحَرْبِ ما بَرِحَتْ تَشْقى بِأَسْيافِهِ الأَعْداءُ وَالَجَزَرُ

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 522 05/06/2024 11:42 AM

وَمِـدْرَهُ النّـاسِ عَبّـاسٌ وَمَوْقِفُـهُ مُسْتَسْقِياً وَعَزالِيْ السُّحْبِ تَنْهَمِرُ

ساقِيْ الحَجِيْج وَعَمُّ المصْطَفى وَأَبُوْ ال أَمْلاكِ تُنْبِيْكَ عَنْـهُ الكُتْبُ وَالسِّيَرُ

وَفِيْ بَنِيْـهِ مَعانِـيْ المجْدِ أَجْمَعُهـا قَدْ قَرَّ فِيْ كُلِّ سَمْعٍ عَنْهُمُ خَبَرُ

أَجْمَـلَ أبـو الرَّبيـع فـي هـذه المدحـة العناويـن البـارزة فـي شـخصيَّة الممـدوح، مسـتثيراً تداعيـات ذاكـرة السّـامع حـول تاريـخ الممـدوح بالتَّلميـح والإيحـاء. ونسـتطيع أن نقـرأ بيـن سـطور المدحـة أهـم الأحـداث فـي حيـاة الممدوحيـن. فـإسلام حمـزة أعَـزَّ الإسلام، إذ كان واحـداً مـن السّـادات الَّذيـن رهنـوا عنايتهـم لتكـون درعـاً للرَّسـول والمسـلمين. وقـد بـدأت مكانتـه مـع اسـتحقاقه شـرف النَّسـب والقرابـة مـن رسـول الله ـ صلـى الله عليـه وسـلم- ، وانتهـت مـع واقعـة استشـهاده فـي بـدر، إذ تقلَّـد الرَّايـة الأولـى الَّتـي خـرج بهـا المسـلمون لمواجهـة قريـش، فحـاز مـن سيِّدنا محمَّـد بسـبب بأسـه وجـرِّه أكابـر العـدو إلـى القتـل والأسـر والهزيمـة لقـب (أسـد الحـرب). أمّـا العبّـاس فهـو الزَّعيـم القرشـي، والقـوي علـى الأمـور، والمقـدَّم فـي الـكلام والـرَّأي عنـد الخصومـة والقتـال، ينـال النّـاس بـه السُّـقيا، لأنَّـه مـن ذوي الرَّحـم الشَّـريف وصاحـب منصـب السِّـقاية، وهـو أجـود القرشـيين وأوصلهـم كفّـاً، وهـو مَـنْ نَفعـه الله بـأولاده الَّذيـن طـار ذكرهـم، إذ كانـوا بيـن فقهـاء ومحدِّثيـن

وقـد اتَّـكأ الشّـاعر علـى سـموِّ مكانـة ذريَّـة العبّـاس، فألبـسَ بـرودَ الثَّنـاء كلَّ أبنـاءِ مَـنْ حَبَّـرَ مِدحتهـم، وكلَّ مَـنْ دنـت نسـبتُه مـن رسـول الله، وكلَّ مـن اتَّصـل بـه بصلـة رحـمٍ، مـع اعتبـار سـبطي رسـول الله مـن بنتـه فاطمـة أكرمَهـم جميعـاً، رضـي الله عنهـم. ويمكـن عـده فـي هـذا البـاب مجـدداً، إذ تميـز فـي مدحـه آل البيـت بنزعـة إنسـانية قويـة انعكسـت فـي الرائيـة بوضـوح. قـال أبـو الربيـع (البونسـي 2004، 479):

وَكُلُّ أَبْنـاءِ مَـنْ حَبَّـرْتُ مِدْحَتَـهُ لَهُـمْ بُـرُوْدُ ثَنـاءٍ دُوْنَهـا الحِبَـرُ

وَلا كَسِبْطَـيْ رَسُـوْلِ اللهِ مِـنْ أَحَـدٍ وَهَـلْ كَفاطِمَـةٍ مِـنْ صَفِّهـا بَشَـرُ

وَمَـنْ دَنَـتْ مِـنْ رَسُوْلِ اللهِ نِسْبَتُـهُ دُنُوُّهـا لَهُـمُ لَـمْ يُخْطِـهِ خَطَـرُ

وَكُلُّ ذِيْ رَحِـمٍ مِنْـهُ فَـإِنَّ لَـهُ بِـذاكَ فَخْـراً قُـواهُ لَيْسَ تَنْبَتِـرُ

واسـتند تعظيـمُ الشّـاعر للصحابـة والأنصـار علـى مـا جـاء صريحـاً فـي القـرآن الكريـم: {لَقَـدْ تـابَ اللهُ علـى النَّبـيِّ والمُهاجِريـنَ والأَنصـارِ الَّذيـنَ اتَّبَعُـوهُ فـي سـاعَةِ العُسـرة مـن بعـدِ مـا كادَ يَزِيْـغُ قُلـوبُ فَرِيـقٍ مِنْهُـمْ ثـمَّ تـابَ عَلَيْهِـمْ إنَّـهُ بِهِـمْ رَؤُوفٌ رَحِيـم} (التوبـة، 17). ويمكـن عـد عاطفتـه المشـبوبة التـي انعكسـت بوضـوح علـى شـعره المدحـي فـي الصحابـة والأنصـار

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 523 05/06/2024 11:42 AM

من باب الأصالة والتجديد، خصوصاً وأنه توسع فيه فاتسم بقوة التأثير. قال أبو الربيع : (البونسي 2004، 479)

وَسائِرُ الصَّحْبِ وَالأَنْصارِ أَوَّلُهُمْ أَهْلُ الثَّناءِ فَهُمْ آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا

أَيّامُهُمْ بَيَّضَتْ وَجْهَ النَّبِيِّ رِضًى وَسَوَّدَتْ أَوْجُهَ القَوْمِ الأُلى كَفَرُوا

وَإِنَّهُمْ لَخَيارٌ فَارْعَ حَقَّهُمُ فَسُنَّةُ الحَقِّ أَلا تُهْمَلَ الخِيَرُ

أشارت الأبيات هنا إلى استحقاق الأنصار الأوَّلية في التَّعظيم والثَّناء، وذلك لسببين؛ الأوَّل: أنَّهم نصروا رسول الله من غير أهله الكافرين الَّذين ناهضوا دعوته، والثّاني: أنَّ نصرتهم له لم تكن مجرَّد تأييدٍ بالقول، وإنَّما كانت تأييداً بالفعل، إذ آووه، وأسكنوه وأهلَه ديارهم. وبناءً على ما تقدَّم من بيانه عظمة شأنهم كان لا بدَّ من: قصر النَّصر عليهم (هُمْ آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوْا)، وتأكيد خيريَّتهم (إِنَّهُمْ لَخِيارٌ)، وإجلاء بياض أفعالهم (أَيّامُهُمْ بَيَّضَتْ وَجْهَ النَّبِيِّ/ وَسَوَّدَتْ أَوْجُهَ القَوْمِ الأُلى كَفَرُوْا)، فكانت الدَّعوة لرعاية حقِّهم بوصفهم قدوةً حسنةً في القول والسُّلوك

4. مدح أمَّهات المؤمنين

اختلفت صورة المرأة في شعر أبي الرَّبيع الدِّيني عن صورتها في الشِّعر عموماً، إذ لم تكن كياناً معنويّاً خياليّاً ولا رمزاً صوفياً، وإنَّما نموذجاً حقيقياً كاملاً في صفاته العليا. فقد صدر الشّاعر عن قيم الإسلام، فاختلف أسلوبه في الحديث عن المرأة عمّا كان معتاداً من التَّغزُّل بها أو رثائها، إذ إنَّ مدحه أجلاها فاضلة شاركت بفاعليَّة في بناء المجتمع المسلم. ولم يتحدث أبو الرَّبيع عن المرأة في مطيّة قصيدته الرائية، وإنَّما أفرد لها مساحة مستقلَّة، ووضعها في صميم المدح، فصرَّح بشخصها، وتأمَّل تجربتها الدِّينيَّة؛ إذ استحالت الزَّوجة أمّاً لعموم المسلمين.

فإذا كان للسَّيِّدة خديجة - رضي الله عنها- مكانتها الَّتي لا تدانيها مكانة في قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وفي دعم الدَّعوة وجب أن تحتل مكان الصَّدارة بين الممدوحات الكريمات من زوجات النَّبي - صلى الله عليه وسلم - في شعر أبي الرَّبيع. فهي أوَّل من آمن به وصدَّق حديثه عن قلب سليم، وهي الَّتي ثبتته لمواصلة الدَّعوة وبرته ووهبته ما ملكت يمينها ليتصرَّف به كيف شاء في سبيل رفع راية الإسلام. وعند خديجة وجد رسول الله الذُّريَّة، ووجد التَّعظيم والطّاعة، وربَّما بسبب هذا كله أصبحت خديجة رابطة تجمع أطراف المجتمع المسلم. قال أبو الربيع (البونسي 2004، 480):

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 524 05/06/2024 11:42 AM

وَانْظُمْ إِلى سِلْكِ مَنْ تُهْدِيْ الثَّناء لَـهُ أَزْواجَـهُ فَلَهُنَّ الشَّأْنُ وَالخَطَـرُ

خَدِيْجَـةُ البَـرَّةُ العُلْيـا مَكانَتُهـا وَزِيْـرَةُ الصِّـدْقِ فِـيْ الإِسْـلامِ وَالوَزَرُ

وَأُمُّ كُـلِّ بَنِيْـهِ غَيْرُ مَـنْ وَلَـدَتْ عَقِيْلَـةُ القِبْـطِ أَدّى ذَلِـكَ الأَثَـرُ

وَهِـيَ الـمُحَيّاةُ مِـنْ جِبْرِيْـلَ مُبْشِـرَةً بِبَيْـتِ دُرٍّ فَحُمَّـتْ عِنْدَهـا البَـشَرُ

لـم يقـف الطَّـرح المدحـيَّ التجديـدي للسَّـيدة خديجـة عنـد أوصـاف رتـب الشّـاعر ذكرهـا، فقد اتَّخـذ لذلـك قرائـن ودلائـل، أبرزهـا إدخـال المـرأة فـي علاقـة متكافئـة مـع الرَّجـل منـذ مطلـع الأبيـات المدحيَّـة، إذ احتلـت زوجـة النبـي فـي ميـزان العمـل الصالـح مرتبـة الخطـر تسـتحق معهـا تُنْظَـم إلـى سـلك الممدوحيـن مـن الصَّحابـة. وقـد ألبـس الشّـاعر الصياغـة الشـعرية إيقاعـاً دينيّـاً عندمـا ذكـر تحيَّـة جبريـل - عليـه السَّـلام - علـى خديجـة - رضـي الله عنهـا- ، وقـد حمـل لهـا بشـارة الله بعظيـم الأجـر فـي الجنَّـة. وفـي هـذه المدحـة ميـز الكلاعـيُّ السَّـيِّدة خديجـة مـن بقيَّـة زوجـات النَّبـي بوصفهـا المـرأة الَّتـي رزقهـا الله أولاده، وهـذا الوصـف يرتبـط بجـذور المعتقـد القديـم الَّـذي يرتقـي بالمـرأة القـادرة علـى الإنجـاب إلـى ذروة التَّمجيـد والتَّعظيـم، لكنَّـه وصـف محـدث يُعنـى ببيـان نـوع مـن أنـواع المسـاواة الإلهيَّـة بيـن الخلـق. فاقتـران ذكـر خديجـة بذكـر ماريـة القبطيَّـة -والجامـع بينهمـا فـي الصفـة خاصيَّـة الإنجـاب لخيـر الخلـق- صـادر عـن تسـامح دينـي وتعايـش سـلمي فـي ظـل واقـع اجتماعـي تعـدَّدت فيـه الطَّوائـف

وامتـدح الشّـاعر عائشـةَ -رضـي الله عنهـا- بمـا كان لسـيِّدنا محمَّـد معهـا مـن شـأن فـي بـاب المحبَّـة بيـن الزَّوجيـن، وبمـا كانـت تملكـه مـن حظـوة بيـن نسـائه. فقـد أشـاد بالمكانـة العلميَّـة والدِّينيَّـة الَّتـي كانـت تتمتـع بهـا، ونـوَّه بالـدَّور الَّـذي كانـت تؤدِّيـه، بوصفهـا ذاتـاً فاعلـة مؤثـرة فـي المنظومـة الاجتماعيَّـة الَّتـي كانـت تعيـش بيـن ظهرانيهـا وحتَّـى عصـر الشّـاعر. واتجاهـه المحـدث يكمـن فـي أنـه أراد أن يسـتثير المـرأة فـي عصـره، لتخـرج مـن عبـاءة الخمـول والانعـزال، فتشـارك فـي التَّعلـم والتَّعليـم، وتسـتلهم الصُّـورة المثاليَّـة لهـذه المـرأة المسـلمة النَّشـيطة فـي ميـدان الأحـكام الدِّينيَّـة والفقهيَّـة. قـال أبـو الربيـع (البونسـي 2004، 480):

وَبَعْدَها ابْنَـةُ أَعْلى النَّـاسِ مَنْـزِلَـةً عِنْـدَ الرَّسُوْلِ بِمـا أَعْـلاهُ مُخْتَبَـرُ

فَتِـلْكَ عائِـشَةُ المَشْهُـوْرِ مَوْضِعُهـا مِـنْ حُـبِّـه فَاعْذِرُوْها إِنْ عَـرا أَشَـرُ

وَلَيْـسَ مِـنْ شَأْنِهـا لَكِنْ مَكانَتُهـا حَـرى بِهِ فَلْيُزايِـلْ صَـدْرَكَ الوَحَـرُ

عَلامَةُ الدِّيْـنِ أَمُّ الـمُؤْمِنِيْـنَ مَتـى يَحْضُـرْنَ لِلْعِلْمِ يَضْمَنْ سَبْقَهـا الحَضَرُ

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 525 05/06/2024 11:42 AM

وقد تميَّز الكلاعي في هذا الموضع بفراسة وحذق، إذ سبر في هذه المرأة العظيمة صفاتها مِنْ أشر ودلال، فهيَّأ لقصيدته واحداً من أهم عناصر الإجادة فيها، وهو النَّفاذ إلى الجوانب الإنسانيَّة الصَّميمة في حياة الشَّخصيَّة الَّتي يتحدَّث عنها. فقد أوحى بأنَّها أنثى خالدة متكررة في كلِّ زمان ومكان، لذا أُقام أواصر المشابهة بينها وبين البشر عموماً، فجعل المتلقي قادراً على تصوُّرها وتصور النَّبي في بيته لا كآلهة مقدَّسة كما يفعل المدح التقليدي غالباً وإنَّما جعلها تبدو كإنسان له في محراب الإنسانية مراتب عالية

وارتبطت المرأة في شعر أبي الرَّبيع بالرَّجل ارتباطاً وثيقاً، من دون أن يحول ذلك بينها وبين استقلالها الذَّاتي في سلوكها الشَّخصي، مع ما يترتب عليها بسببه من الثَّواب والعقاب. وأهمل الشّاعر التَّناول التَّقليدي لها، فقد وضع صورة المرأة المسلمة موضع التَّكريم والموعظة لا موضع التلذذ. قال أبو الربيع في مدح حفصة - رضي الله عنها - (البونسي 2004، 480):

وَحَفْصَةُ ابْنَةُ فارُوْقِ الهُدى فَلَها سَعْيٌ مِنَ السِّرِّ عِنْدَ اللهِ مُدَّخَرُ

صَوّامَةٌ وَنَهارُ الصَّيْفِ مُحْتَدِمٌ قَوّامَةٌ وَالدُّجى مُرْخى لَها الأُزُرُ

وقدَّم الشّاعر في إطار مدح أمهات المؤمنين صورة محدثة للمرأة الملتزمة تعاليم الدين والتَّقوى، وهي امرأة نزهها الله من الذُّنوب، وزكاها من الأدناس، وأعدها للزهد في متاع الدُّنيا ليزيدها قربة إليه. قال أبو الربيع (البونسي 2004، 480):

وَكُلُّ أَزْواجِهِ بِالدِّيْنِ مُشْتَمَلٌ وَكُلُّهُنَّ بِتَقْوى اللهِ مُؤْتَزَرُ

وَكُلُّهُنَّ لَنا أُمٌّ مُبارَكَةٌ مِنْ كُلِّ مَنْ ضَمَّتِ الأَبْياتُ وَالحُجَرُ

مُبارَكاتٌ تَوَلّى اللهُ مُعْتَلِياً تَطْهِيْرَهُنَّ فَهُنَّ الصَّوْنُ وَالطُّهُرُ

وَإِنْ غَدَوْنَ احْتِقاراً لِلْحُلى عُطُلاً فَخَيْرُ زِيْنَتِهِنَّ الدِّيْنُ وَالخَفَرُ

وَما حُلاهُنَّ بِالأَصْوافِ مُدْرَكَةٌ وَكُلُّ ما طالَ مِنْها فَهُوَ مُخْتَصَرُ

لم تقطع الأوصاف المعنوية التي عدد الشاعر اجتماعها في زوجات النبي صلتهن بالواقع، كما كان حال الشعر العذري، إذ أسند الشاعر الوصف إلى الأدلة المستمدة من القرآن والسنة. فمكانتهن "ليست بسبب ارتباطهن بالرسول الكريم بصلة الزَّواج" (علوان، 1992، 7) وإنَّما لما قرَّره القرآن لهنَّ من الأمومة، ليكنَّ على مستوى المقام الَّذي خصَّ الله به سيِّدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم- ، إذ استحق حظّاً من محبَّة أبنائه المسلمين أكثر

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 526 05/06/2024 11:42 AM

ممّا لأنفسهم منها: (النَّبِيُّ أَوْلى بِالمُؤْمِنِيْنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) (الأحزاب، 34)

وقد استثمر الكلاعيُّ في الأبياتِ السّابقة المنهج القرآنيَّ، وذلك لبيان أسباب تكريم الله لزوجات النَّبيِّ بأن جعلهنَّ أمَّهات المؤمنين. فأشار إلى تلاوتهنَّ القرآن الكريم الَّذي نزل به الوحي على سيِّدنا محمد في بيوتهنَّ، متلمِّساً النَّصَّ القرآنيَّ (وَاذْكُرْنَ مايُتْلى فِيْ بُيُوْتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ إنَّ الله كانَ لَطِيْفاً خَبِيْرا) (الأحزاب، 34). كما نوَّه بما كنَّ يتَّصفن به من العفَّة والطُّهر المطلقين، معتمداً على التأويل القرآني للآية الثّالثة والثّلاثين من سورة الأحزاب، وفيها تُعدُّ زوجات النَّبيِّ من آل بيته الَّذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم (إنَّما يُرِيْدُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمِ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْراً) (الأحزاب، 33). وأشار إلى امتثال الزَّوجاتِ الأمر الإلهيَّ الَّذي دعاهنَّ إلى ترك زينة الدُّنيا ومتاعها في سبيل الله ورسوله والدَّار الآخرة (وقَرْنَ فِيْ بُيُوْتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَهِلِّيةِ الأُوْلى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِيْنَ الزَّكَوةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ) (الأحزاب، 33). وإذ استعان الكلاعيُّ في مدحه زوجات النَّبيِّ باللَّقب القرآنيِّ الَّذي عُمِّمن به أمَّهاتٍ لكلِّ المسلمين، فلأنَّه أيقن أنَّ مَنْ شَرُفَ بهذه الأمومة لابدَّ أن يلتزم واجباته تجاه حقوقها

وممّا يجدر ذكره أنَّ الكلاعيَّ في السياق السابق لم يقدِّم لنا الصورة التقليدية للمرأة المضطهدة أو المكرهة، وإنَّما عبَّر عن حريَّة المرأة، ودعا إليها، انطلاقاً من نظرة عميقة تُمَحِّصُ شؤونها. فقد غمز إلى حادثة تخيير النَّبيِّ زوجاته - رضي الله عنهنَّ- بين التَّسريح من غير ضرار وبين الصَّبر الجميل، عندما طَلبن منه من زينة الحياة الدُّنيا ما ليس عنده، وذلك من خلال عرض صورة المرأة الَّتي تتمثَّل الأمر الإلهيَّ عن حريَّةٍ كاملة لائقة بها. وبدا الشّاعر هنا مهتمَّاً بتربية روح المرأة وصقل أفكارها، فقد أفاد من النَّمط التَّقليديَّ السَّلبيَّ لاهتمامات المرأة كي يدعوها إلى الالتزام الإسلاميِّ الإيجابيِّ في المظهر وفي التَّفكير. كما أنَّه استلهم أمَّهات المؤمنين المصونات الطَّاهرات من زوجات النَّبيِّ رمزاً إنسانيّاً يبث من خلاله همومه بسبب أوضاع المرأة في عصره، إذ عقد مقارنة خفيَّة بين المثال الممكن للمرأة في عهد الرَّسول وبين الواقع المتردِّي للمرأة في عصره. وعندما استرجع سيرة الماضي قدَّم صورة المثال المطلق للمرأة، ليكون النَّموذج الَّذي يجب أن تحتذيه كلُّ امرأة وتهتدي بهديه، وفي هذا محاولة منه لاستلهام الوجود الممتدِّ الخالد لأهل بيت النَّبيِّ في ضمير النّاس

الخاتمة

سعى البحث السابق إلى دراسة المديح الديني في شعر أبي الربيع الكلاعي من خلال الرائية بغرض الوقوف على عناصر المحاكاة والأصالة في هذا الغرض في شعر الشاعر. وانتهى البحث إلى أن هذه المدحة الدينية شكلت أنموذجاً من نماذج التجديد على مستوى

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 527 05/06/2024 11:42 AM

الشكل والمضمون. وتتمثل أهم نتائج البحث فيما يلي:

- استقلت المدحة الدينية الكلاعية بقصيدة خالصة، وحافظت على وحدتها الموضوعية والعضوية على خلاف ما كان سائداً في المدح التقليدية. وقد التقى أبو الربيع مع مداحي عصره من حيث الاستعانة بالمعاني البسيطة والألفاظ الواضحة، بيد أنه خالفهم في الابتعاد عن التغول والتَّلفيق. ومن مظاهر التقليد التحام الرائية بالتناص الديني، بيد أن الإجادة وعلو الأداء خليق باعتباره من باب التفرد على المستوى الفني، ممّا ينفي عن مدحته صفة الضَّعف الَّتي اتَّصف بها الشِّعر الدِّينيُّ عموماً. واعتماد الإيقاع اللافت في سياق الرائية مع لجوء الشّاعر إلى التوصيف بأسلوبٍ تخييليٍّ -على غير ما جرت عليه العادة في إنشاء الشِّعر الدِّينيِّ- فيه بعض الجدة والطرافة. ومن مظاهر التجديد في الرائية كمدحة دينية على مستوى المضمون أن الشاعر لم يجعلها وقفاً على مدح النبي الكريم وإنما امتد بها لمدح الصحابة وآل البيت وأمهات المؤمنين بوصفهم جميعاً رموز الاتِّجاه الدِّينيِّ، فضلاً عن أنه وصل في مدحهم إلى حد الإطناب، مع التصريح بأسمائهم مستخدماً اللطائف البلاغية.

- صَدَر الكلاعي في المقدمة عن منزع تجديدي محكوم بالموروث الثقافي، فاستهل بنسيبٍ مجازي نأى فيه الرمز إلى حب النبي الممدوح عن التقليد الحرفي. فاتسم نسيبه بعاطفة دينية مشبوبة للنَّبي الكريم وبابتعاد مشهد التصوير عن الصفات الحسية، مما جعله مختلفاً عن النسيب التقليدي الذي يصف المحبوب ويبكي الأطلال. ومن ملامح التجديد في الرائية حسن التخلص، وهو ملمح من ملامح التماسك النصي الذي تفتقده النبويات التقليدية التي يدور أغلبها في مقطعات. أما الاختتام فلم يخرج عن المقصد الأساسيِّ الَّذي يُنظم من أجله المدحُ عموماً، وهو تكسُّب المنفعة والعطاء، كما أنَّه لم يبتعد عن استخدام أساليبه الخاصَّة كالدُّعاء، على أنَّ المنفعة المتوخاة دينيَّة، والدُّعاء موجَّهٌ إلى الله تعالى، لا إلى الممدوحين.

- أميز معاني المديح النبوي التقليدية التي نهضت بها الرائية التوسل بصور فضل النبي الكريم والصَّلاة عليه أمداً لا انقضاء له وذكر المعجزات المادية والمعنوية التي أجراها الله عليه، وكلها من المعاني المتداولة في الشعر الأندلسي خصوصاً والعربي عموماً، لذا فقد صدر فيها الكلاعي مقلداً لا مجدداً. بيد أن هذه المعاني اكتسبت من السِّياق دلالات وإيحاءات دينيِّة مبتكرة، فخرج المضمون من معانيه المعجميَّة التَّقليديَّة إلى معان دينيَّة محدثة. والتَّوسل بمثال النَّعل النبوية ليكون ذريعة مقبولة عند فضل الله قيمة مدحية محدثة خالف فيها الكلاعي المنكرين الذين وجدوا في ذلك غلوّاً مذموماً من مثل الخوارج، وسنته في التبرك بها

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 528 05/06/2024 11:42 AM

سنَّة العاشقين المتصوِّفة. على أنه كان سباقاً للخوض في هذا الموضوع، و يكاد لا يتقدمه فيه إلا السبتي.

- استمد الكلاعي مضامين مدح الصحابة من موروثات دينية مثبتة في مصادر التشريع الإسلامي، متفقاً في ذلك مع تصور أهل السنة، وهو ملمح فني تقليدي. بيد أنه وصل القيم التقليدية بامتدادها الديني، موظفاً للمدحة إيحاءات ودلالات فنية خاصة لم تكن مطروقة عند غيره من شعراء المديح الديني، فتلوَّنت معانيه بإيحاءات محدثة. كما أن صورُه المطبوعة لم تضعف صدقه الفنيَّ والموضوعيَّ، كما هو الحال مع مدّاحي الشِّعر العربيِّ عموماً، إذ انصرفوا في مدائحهم عن الطبع إلى النفاق والتدجيل. ولاريب أن لمدحته وظيفة تحريضيَّة، بمعنى أنَّها لم تكن مدحاً بالمعنى المعهود المألوف، بل كانت استنفاراً للمسلمين في عصره.

- تميز مدح الكلاعي لآل البيت والأنصار بنزعة إنسانية قوية وعاطفة مشبوبة، ويمكن عده أصيلاً في هذا الباب، خصوصاً وأنه توسع في ذكر فضائلهم، فاتسم مدحه بقوة التأثير. ومن الجدير بالذكر أن الشعراء قيدوا محبتهم لآل البيت عموماً وعلي - كرم الله وجهه - خصوصاً، وقل أن يخصوا الحمزة والعباس بمدحهم الديني، وهو ما يمكن عده من باب التفرد على مستوى الموضوع في الرائية.

- قدَّم الكلاعي في إطار مدح أمهات المؤمنين صورةً محدثة للمرأة الملتزمة تعاليم الدِّين والتَّقوى، فترك التَّناول التَّقليديَّ لها، ووضعها موضع التَّكريم لا موضع التَّلذُّذ. فقد اختلف أسلوبه في الحديث عنها عما كان معتاداً من التغزل بها أو رثائها أو اتخاذها كيانا معنوياً خيالياً أو رمزاً صوفياً، وإنما جعلها نموذجاً حقيقياً كاملاً في صفاته العليا. ولم تقطع الأوصاف المعنويَّة الَّتي عدَّد الشّاعر اجتماعَها في زوجات النَّبيِّ صلتهنَّ بالواقع، كما كان حال الشِّعر العذريُّ، وإنما نفذ مدحه الديني لهن إلى الجوانب الصَّميمة في حياتهن، فجعل المتلقِّي قادراً على تصوُّرهن لا كآلهةٍ مقدَّسةٍ، كما يفعل المدح التقليدي غالباً، وإنَّما كرموز دينية لهن في محراب الإنسانية مراتب عالية. ومن جهة أخرى لم يقدِّم الصورة التقليدية للمرأة المضطهدة، وإنَّما عبَّر عن حريَّتها، ودعا إليها من خلال عرض صور أمهات المؤمنين اللواتي يتمثلن الأمر الإلهيَّ عن إرادة كاملةٍ.

- يتمثل الطَّرح المدحيَّ التجديدي لأمهات المؤمنين في الرائية في مظاهر أبرزها إدخال المرأة في علاقة متكافئة مع الرَّجل؛ إذ لم يتحدث عنها في مطيّة مدحته الدينية، وإنَّما أفرد لها مساحة مستقلَّة، ووضعها في صميم القصيدة. وقد أشاد أبو الربيع بالمكانة العلميَّة والدِّينيَّة لأمهات المؤمنين، فقد شاركن بفعالية في بناء

21-2 .indd 529 05/06/2024 11:42 AM

المجتمع المسلم. وبهذا الاتجاه المحدث أراد أن يستلهم أمهات المؤمنين كرمز إنساني ممكن، لكي يستثير المرأة في عصره، فتخرج من عباءة الخمول والانعزال، وتشارك في التَّعلم والتَّعليم. وجدير بالذكر أن وصف الكلاعي لخديجة - رضي الله عنها- ارتبط بجذور المعتقد القديم الَّذي يرتقي بالمرأة القادرة على الإنجاب إلى ذروة التَّمجيد، لكنَّه وصفٌ محدث يُعنى ببيان نوعٍ من أنواع المساواة الإلهيَّة بين الخلق. فاقتران ذكرها بمارية القبطيَّة -والجامع بينهما في الصِّفة خاصيَّة الإنجاب لخير الخلق- صادرٌ عن تسامح دينيّ وتعايش سلمي في ظلّ واقع اجتماعي تعدَّدت فيه الطَّوائف.

قائمة المصادر والمراجع:

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (د.ت.). الموازنة بين أبي تمام والبحتري (تحقيق السيد أحمد صقر). دار المعارف.

البونسي، إبراهيم بن الحسن (2004). كنز الكتاب ومنتخب الآداب (تحقيق حياة قارة). المجمع الثقافي.

الترمذي، محمد بن عيسى (1999). سنن الترمذي (تحقيق محمد محمد حسين الذهبي). دار الحديث.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف (1985). كتاب التعريفات. مكتبة لبنان.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (1996). مقدمة ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. دار العودة.

الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن أيوب (د.ت.). جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام . دار ابن خلدون.

الذهبي، محمد بن أحمد (1988). تاريخ الإسلام (تحقيق بشار عواد وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس). مؤسسة الرسالة.

الذهبي، محمد بن أحمد (2006). سير أعلام النبلاء (تحقيق محمود شاكر). دار إحياء التراث العربي.

الرعيني، علي بن محمد (1982). برنامج شيوخ الرعيني (تحقيق إبراهيم شبوح). وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (1991). لب اللباب في تحرير الأنساب (تحقيق محمد أحمد عبد العزيز). دار الكتب العلمية.

السبتي، محمد بن عمر بن رشيد الفهري (1982). ملء العيبة (تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة). الدار التونسية للنشر.

شبيب، غازي (1998). فن المديح النبوي في العصر المملوكي. المكتبة العصرية.

شعبان، عبد الحميد حامد (2000). الشاعر الشهيد أبو الربيع بن سالم الكلاعي. مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، *19*(2).

العبادلة، عثمان (1995). الشعر الأندلسي بين التقليد والتجديد. مجلة جامعة بيت لحم، *14*.

عبد الرؤوف، عبد العظيم (2020). المديح النبوي في شعر ابن الجنان الأندلسي، دراسة تحليلية فنية. مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، *35*.

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 530 05/06/2024 11:42 AM

علوان، عبد الله علوان (1992). الأدب مع أمهات المؤمنين. دار الصحابة للتراث.

عليان، محمد شحادة (1990). المديح في بلاط سيف الدولة الحمداني. دار المعرفة الجامعية.

عمراني، آسيا عبد القادر علي (2022). المدح النبوي ومضامينه في البيان الشعري الأندلسي، نماذج مختارة. مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، *92*.

عيد، صلاح (د.ت.). مدح الرسول في فجر الإسلام. دار المعرفة.

قارة، حياة (1993). رائية أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي البلنسي. مجلة دعوة الحق، *298*.

كردي، علي إبراهيم (2010). الشعر العربي بالمغرب في عهد الموحدين؛ موضوعاته ومعانيه. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث و دار الكتب الوطنية.

الكلاعي، سليمان بن موسى (1997). الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي).عالم الكتب.

لهي، ثريا (2001). جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة المعري في خطبة الفصيح [أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس].

لجنة من الأدباء (1992). المديح. دار المعارف.

مبارك، زكي (1935). المدائح النبوية في الأدب العربي. منشورات المكتبة العصرية.

محمد، سراج الدين (د.ت.). المديح في الشعر العربي، موسوعة المبدعون. دار الراتب الجامعية.

المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك (د.ت.). الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (تحقيق إحسان عباس). دار الثقافة.

المقري، أحمد بن محمد (2004). وصف نعال النبي (تحقيق علي عبد الوهاب وعبد المنعم فرج درويشن). دار القاضي عياض للتراث.

المنذري، زكي الدين بن عبد العظيم القوي (1994). التكملة لوفيات النقلة (تحقيق بشار عواد معروف). الشركة المتحدة للنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم (1967). لسان العرب (تحقيق يوسف خياط ونديم مرعشلي). دار لسان العرب.

الموسى، فيروز (2000). المقدمة الغزلية للمدحة النبوية الأندلسية. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، *23*(57).

النبهاني، ابن الحسن (1995). تاريخ قضاة الأندلس، أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (تحقيق مريم قاسم طويل). دار الكتب العلمية.

نجا، أشرف محمود (2003). قصيدة المديح الأندلسية قضاياها الموضوعية والفنية، عصر الطوائف. دار الوفا للطباعة والنشر.

نمر، حنا (1982). دراسات في الأدب والفن. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم (1986). المستدرك على الصحيحين، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي (إعداد يوسف عبد الرحمن المرعشلي). دار المعرفة.

الوائلي، رعد ناصر (2011). قصيدتان نادرتان في شعر المديح النبوي بالأندلس. لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، *5*(3)

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 531 05/06/2024 11:42 AM

اليافعي، عبد الله بن أسعد (1997). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (تحقيق خليل المنصور). دار الكتب العلمية.

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanized Arabic References:

al-'āmidiyyu 'abū alqāsimi alḥasanu bnu bishrin (dt). almūāzanatu bayna 'abī tammāmin wa-l-baḥtariyyi (taḥqīqu al-sayyidi 'aḥmada ṣaqrin dāru alma'ārifi

albawnasiyyu 'ibrāhīmu bnu alḥasani (2004). kanzu alkitābi wamuntakhabi al'ādābi (taḥqīqu ḥayāti qārratin almajma'i al-thaqāfiyyu

al-tirmidhiyyu muḥammadi bnu 'īsā (1999). sunani al-tirmidhiyyi (taḥqīqu muḥammadin muḥammadin ḥusaynin al-dhahabiyyi dāru al-ḥadīthi

aljurjāniyyu 'aliyyu bnu muḥammadin al-sharīfi (1985). kitābu al-ta'rīfāti maktabatu lubnāna

abnu khaldūna 'abdu al-Raḥmāni bnu muḥammadin (1996). muqaddimatu abni khaldūna al-musammā bikitābi al'ibari wadīūāni al-mubtada'i wa-l-khabari dāru al'awdati

al-dimashqiyyu muḥammadu bnu 'abī bakri bni 'ayyūba (dt). jalā'u al'afhāmi fī al-ṣalāti wa-l-salāmi 'alā khayri al'anāmi dāru abni khaldūnin

al-dhahabiyyu muḥammadu bnu 'aḥmada (1988). tārīkhu al'islāmi (taḥqīqu basshārin 'awwādin washu'aybin al-'ārnā'ūṭi waṣāliḥi mahdiyyi 'abbāsin mu'uassasatu al-risālati

al-dhahabiyyu muḥammadu bnu 'aḥmada (2006). siyaru 'a'lāmi al-nubalā'i (taḥqīqu maḥmūdi shākirin dāru 'iḥyā'i al-turāthi al'arabiyyi

al-ru'ayniyyu 'aliyyu bnu muḥammadin (1982). barnāmaji shuyūkhi al-ru'ayniyyi (taḥqīqu 'ibrāhīma shabūḥin wizāratu al-thaqāfati wa-l-'irshādi alqawmiyyu

al-suyūṭīy jalālu al-dīni 'abdu al-Raḥmāni (1991). lubbu al-lubābi fī taḥrīri al'ansābi (taḥqīqu muḥammadin 'aḥmada 'abdi al'azīzi dāru alkutubi al'ilmiyyati

al-sabtiyyu muḥammadu bnu 'umara bni rashīdin alfihriyyu (1982). mil'u al'aybati (taḥqīqu muḥammadi alḥabībi bni alkhawjati al-dāru al-tūnusiyyatu lil-nashri

shabībun ghāziyyin (1998). fannu almadīḥi al-nabawiyyi fī al'aṣri almamlūkiyyi almaktabatu al'aṣriyyatu

sha'bānu 'abdi alḥamīdi ḥāmidin (2000). al-shā'iru al-shahīdu 'abū al-rabī'i bnu sālimin alkalā'iyyu mijallatu kulliyyati al-lughati al'arabiyyati bi-l-manṣiwari 19(2).

al'abādilatu 'uthmāna (1995). al-shi'ru al'andalusiyyu bayna al-taqlīdi wa-l-tajdīdi mijallatu jāmi'atu bayti laḥmin 14.

'abdu al-ra'uiwfi 'abdu al'aẓīmi (2020). almadīḥu al-nabawiyyu fī shi'ri abni aljināni al'andalusiyyi dirāsatun taḥlīliyyatun fanniyyatun majallatu kulliyyati al-lughati al'arabiyyati bi-l-maniwfayi

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 532 05/06/2024 11:42 AM

35.

‘ulwānu ‘abdu Allāhi ‘ulwāna (1992). al-ʾādabu ma‘a ummahāti al-mu’uminīna dāru al-ṣaḥābati lil-turāthi

‘alyānu muḥammadi shaḥiādata (1990). almadīḥu fī balāṭi sayfi al-dawlati alḥumadinyyi dāru alma‘rifati aljāmi‘iyyati

‘umrāniyyun āsyā ‘abdu alqādiri ‘aliyyin (2022). almadḥu al-nabawiyyu wamaḍāmīnuhu fī albayāni al-shi‘riyyi al’andalusiyyi namādhija mukhtāratan mijallatu dayāalāa lil-buḥūthi al’insāniyyati 92.

‘īdun ṣalāḥun (dt). madḥu al-rasūli fī fajri al’islāmi dāru alma‘rifati

qārata ḥayātun (1993). rā’iyatu ’abī al-rabī‘i sulaymāna bni mūsā alkalā‘iyyi albalanasiyyi mijallatu da‘wati alḥaqqi 298.

kurdiyyun ‘alī ’ibrāhīma (2010). al-shi‘ru al‘arabiyyu bi-l-maghribi fī ‘ahdi almū’aḥḥidīna mawḍū‘ātihi wama‘ānīhi hay’iatun ’abū ẓabyin lil-thaqāfati wa-l-tirāthi wa dāru alkutubi alwaṭaniyyati

alkalā‘iyyu sulaymānu bnu mūsā (1997). aliāktifā’u bimā taḍammanahu min maghāzī rasūli Allāhi wa-l-thalāthati alkhulafā’i (taḥqīqu muḥammadi kamāli al-dīni ‘izzi al-dīni ‘aliyy‘ālimu alkutubi

lahiya thiryā (2001). jahdu al-naṣīḥi waḥazzu almunīḥi min musājalati almu‘rī fī khuṭbati alfaṣīḥi [uṭrūḥati dukatwarāh jāmi‘atu muḥammadi alkhāmisi

lajnatun mina al-ʾudabā’i (1992). al-madīḥu dāru alma‘ārifi

mubārakun zakiyyun (1935). almadā’iḥu al-nabawiyyatu fī al’adabi al‘arabiyyi manshūrātu almaktabati al‘aṣriyyati

muḥammadun sirāju al-dīni (dt). almadīḥu fī al-shi‘ri al‘arabiyyi mawsū‘atu almubdi‘ūna dāru al-rātibi aljāmi‘iyyatu

almarākashiyyu muḥammadu bnu muḥammadi bni ‘abdi almaliki (dt). al-dhaylu wa-l-takmilatu likitābay almawṣūli wa-l-ṣilati (taḥqīqu ’iḥsāni ‘abbāsin dāru al-thaqāfati

almuqrī ’aḥmadu bnu muḥammadin (2004). waṣfu ni‘āli al-nabiyyi (taḥqīqu ‘aliyyi ‘abdi alwahhābi wa‘abdi almun‘imi farajin daraī’ashni dāru alqāḍī ‘īāḍin lil-turāthi

almundhiriyyu zakiyyu al-dīni bnu ‘abdi al‘aẓīmi alqawiyyi (1994). al-takmilatu liwafayāti al-naqlati (taḥqīqu basshārin ‘ūādi ma‘rūfin al-sharikatu almuttaḥidatu lil-nashri wa-l-tawzī‘i

abnu manẓūrin muḥammadu bnu mukramin (1967). lisānu al‘arabi (taḥqīqu yūsufa khayyāṭin wanudaymin mar‘ashiliyyin dāru lisāni al‘arabi

almūsā fayrūzu (2000). almuqaddimatu alghazliyyatu lil-midḥati al-nabawiyyati al’andalusiyyiti

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 533 05/06/2024 11:42 AM

mijallatu majma'i al-lughati al'arabiyyati al'urdunniyyi 23(57).

al-nubhāniyyu abnu alḥasani (1995). tārīkhu quḍāti al-'āndalusi 'aw almarqabati al'ulyā fīman yastaḥiqqu alqaḍā'a wa-l-futyā (taḥqīqu maryama qāsimin ṭawīlin dāru alkutubi al-'ilmiyyati

najā 'ashrafa maḥmūdin (2003). qaṣīdatu almadīḥi al'andalusiyyiti qaḍāyāhā almawḍū'iyyati wa-l-fanniyyati 'aṣru al-ṭawā'ifi dāru alwafā lil-ṭibā'ati wa-l-nashri

namiru ḥannā (1982). dirāsātun fī al-'ādabi wa-l-fanni almu'uassasatu aljāmi'iyyatu lil-dirāsāti wa-l-nashri wa-l-tawzī'i

al-naysābūriyyu 'abū 'abdi Allāhi al-ḥākimu (1986). al-mustadraku 'alā al-ṣaḥīḥayni wabidhaylihi al-talkhīṣu lil-ḥāfiẓi al-dhahabiyyi ('i'dādu yūsufa 'abdi al-Raḥmāni al-mar'ashiliyyi dāru al-ma'rifati

alwā'iliyyu ra'dun nāṣirin (2011). qaṣīdatāni nādiratāni fī shi'ri almadīḥi al-nabawiyyi bi-l-'āndalusi lārik lil-falsafati wa-l-lisāniyyāti wa-l-'ulūmi aliājtimā'iyyati 5(3).

alyāfi'iyyu 'abdu Allāhi bnu 'as'ada (1997). mir'ātu aljināni wa'ibratu alyaqẓāni fī ma'rifati mā yu'tabaru min ḥawādithi al-zamāni (taḥqīqu khalīli almanṣūri dāru alkutubi al-'ilmiyyati

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 534 05/06/2024 11:42 AM

Religious Praise in the Poetry of the Andalusian Abu Al-Rabi‘Al-Kala‘i between Tradition and Innovation: Al-Ra’iyya as a Model

Rawan Walid Sokar[1]

Abstract:

Abu al-Rabi‘ al-Kala‘i al-Andalusi was a literary man, a religious figure, and a historian. Researchers have examined his intellectual output; however, they have not given his poetry the attention it deserves. This research aims to analyze the distinguished features of al-Kala‘I’s Islamic religious praise that dominated his poetry by studying the elements of analogy and originality in his poem al-Ra’iyya, which can be considered a political, social, and religious document. The study adopts the theoretical framework as a method to introduce the poet, the key concepts of the current research, and the previous studies. It focuses on Islamic religious praise, using descriptive and analytical approaches. It begins by observing the aspects of tradition and innovation in the praise of the Prophet Muhammad, then extends this to the praise of the companions, the family of the Prophet, the supporters, and the mothers of the believers. The importance of the research lies in shedding light on one of the less known models of Andalusian poetry. It concludes that the religious praise poetry of al-Kala‘i formed a unique model of innovation in form and content. Influenced by his religious culture, the poet was innovative at the artistic and thematic levels.

Keywords: Religious praise, Abu al-Rabi‘, Imitation, Originality, Al-Ra’iyya.

(1) Faculty of Arts and Humanities - Damascus University (Damascus – Syria)
Rawansukkar@googlemail.com

□□□□□□□ 21-2 □□□□.indd 535 05/06/2024 11:42 AM